صفوة
مصطلحات الصوفية

الميزان اليقين الهوى الغشاوة التجريد السفر الزمردة التمكين القوامع الإرادة البصيرة الفراسة النون الإلهام

الدكتور يوسف خطار محمد

عضو هيئة التدريس في كلية العلوم الإسلامية

جامعة السلطان محمد الفاتح بإسطنبول



المقدمة

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، ممن سبقت لهم من الله الحسنى فاستقاموا على نهج الشريعة مستجيبين لدواعي الطريقة، موفين بعهد الحقيقة، أولئك الذين أنعم الله عليهم بتشريفه، فجعل قلوبهم محلًا لتعريفه، ورقاهم إلى حضرة الصفا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

أما بعد:

فإن لكل علم مصطلحاته التي تعتبر مفاتيح دراسته وفهمه واستيعابه، درج على وضعها المختصون فيه، فعلم الفقه والأصول مثلًا يتعذر فهمه على دارسه قبل معرفة مصطلحاته الفنية التي تواطأ علماء الفقه والأصول على وضعها، وهكذا الشأن في التوحيد والمنطق ومصطلح الحديث وعلوم القرآن وسائر العلوم بقسميها الإنساني والعلمي.

وكذلك السادة الصوفية لهم مصطلحات خاصة لا يفهمها إلا من كان متعمقًا في هذا العلم.

قال الإمام القشيري رحمه الله تعالى في رسالته:

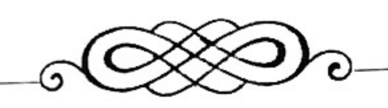
اعلم أن لكل طائفة من العلماء ألفاظًا يستعملونها، وقد انفردوا بها عمن سواهم لأغراض لهم فيها من تقريب الفهم على المتخاطبين بها، أو للوقوف

على معانيها بإطلاقها، ويستعملون ألفاظًا فيما بينهم، قصدوا بها الكشف عن معانيها.

وقد قصدت في هذا الكتاب تبيين معاني هذه المصطلحات، وتقريب فهمها لقارئ كتب التصوف، مرتبة حسب أحرف الهجاء.

سائلًا الله عز وجل القبول والإخلاص

والحمد لله رب العالمين



• الاتحاد والحلول :

الاتحاد: المعنى الظاهر: اتحاد الذات الإلهية بالذات البشرية، والحلول: أن تحل الذات الإلهية بالذات البشرية أي يحل اللاهوت بالناسوت وهذا كله كفر، وهي عقيدة النصارى.

قال الإمام الشعراني رضي الله عنه:

لعمري إذا كان عباد الأوثان لم يتجرؤوا أن يجعلوا آلهتهم عين الله، بل قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[١].

فكيف يُظن بأولياء الله تعالى أنهم يدعون الاتحاد بالحق على حد ما تتعقله العقول الضعيفة؟!

هذا كالمحال في حقهم رضي الله عنهم، إذ ما من ولي إلا وهو يعلم أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق، وأنها الخارجة عن جميع معلومات الخلائق، لأن الله بكل شيء محيط[٢].

وقال الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله تعالى في عقيدته الصغرى: تعالى الحق أن تحله الحوادث أو يحلها.

وقال أيضًا: اعلم أن الله تعالى واحد بالإجماع، ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شيء أو يحل في شيء أو يتحد في شيء.

---

(١) [سورة الزمر، الآية: ٣].
(٢) اليواقيت والجواهر (١/ ٨٣).

وقال في الباب التاسع والستين بعد المئة: القديم لا يكون قط محلًا للحوادث ولا يكون حالًا في الحوادث[١].

وقال الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله تعالى أيضًا:

لا يجوز لعارف أن يقول: أنا الله، ولو بلغ أقصى درجات القرب، وحاشا العارف من هذا القول حاشاه، إنما يقول: أنا العبد الذليل في المسير والمقيل[٢].

وقال العلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه (الحاوي للفتاوى):

واعلم أنه وقع في عبارة بعض المحققين لفظ الاتحاد، إشارة منهم إلى حقيقة التوحيد، فإن الاتحاد عندهم هو المبالغة في التوحيد، والتوحيد معرفة الواحد والأحد، فاشتبه ذلك على من لا يفهم إشارتهم فحملوه على غير محمله، فغلطوا وهلكوا بذلك.

وقال الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله تعالى أيضًا في باب الأسرار:

الحادث لا يخلو عن الحوادث، ولو حل بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم فالقديم لا يحل ولا يكون محلًا.

وجاء في شعر الشيخ محيي الدين بن عربي ما ينفي الاتحاد والحلول كقوله:

ودع مقالة قوم قال عالمهم   بأنه بالإله الواحد اتحدا

---

(١) الفتوحات المكية كما هو في اليواقيت والجواهر (١/ ٨٠- ٨١).

(٢) المرجع السابق.



الاتحـاد محـال لا يقـول بـه إلا جهـول به عـن عقله شـردا

وعـن حقيقتـه وعـن شـريعته فاعبـد إلهك لا تشـرك بـه أحدا

وقال أيضًا في باب الأسرار:

من قال بالحلول فهو معلول، فإن القول بالحلول مرض لا يزول، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد، كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول.

وقال صاحب كتاب نهج الرشاد في الرد على أهل الوحدة والحلول والإلحاد:

حدثني الشيخ كمال الدين المراغي قال: اجتمعت بالشيخ أبي العباس المرسي تلميذ العارف بالله أبي الحسن الشاذلي وفاوضته في هؤلاء الاتحادية فوجدته شديد الإنكار عليهم والنهي عن طريقهم، وقال: أتكون الصنعة هي عين الصانع؟![1].

وأما ما ورد من كلام السادة الصوفية في كتبهم مما يفيد ظاهره الحلول والاتحاد، فهو إما مدسوس عليهم بدليل ما سبق من صريح كلامهم في نفي هذه العقيدة الضالة، وإما لم يقصدوا به القول بهذه العقيدة الضالة، ولكن المغرضين حملوا المتشابه من كلامهم على هذا الفهم الخاطئ، ورموهم بالكفر والضلال، وأما العلماء المنصفون فقد فهموا كلامهم على معناه الصحيح الموافق لعقيدة

---

(١) الحاوي للفتاوى (٢/ ١٣٤).

أهل السنة والجماعة وأولوه بما يلائم ما ورد عنهم من نصوص صريحة موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة[١].

ورحم الله السيد علي بن وفا إذ قال:

وظنــوا بــي حلــولًا واتحــادًا وقلبـي مـن سـوى التوحيـد خـالِ

- **الإجازة:**

هي مصدر أجازَ، وهي لغة بمعنى: طيّ المسافة، وترك المكان، والانقضاء، وإعطاء الإذن لشخص، وهو عند الصوفية تفويض الشيخ لبعض مريديه بتلقين وِرد أو أكثر لغيره كتابة أو مشافهة، وقد يكون التفويض مطلقًا فيشمل جميع الأوراد في مختلف الأوقات والأزمان، وقد تكون الإجازة بزمن أو بفئة من الناس، وهي لا تكون بقرار شخصي.

- **الإحسان:**

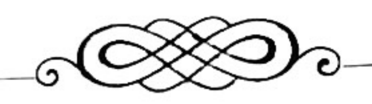
هو التحقّق بالعبودية على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة، أي رؤية الحق موصوفًا بصفاته بعين صفته فهو يراه يقينًا ولا يراه حقيقة.

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «كأنّك تراه».

لأنه يراه وراء حجب صفاته بعين صفاته لأنه في عين اليقين فلا يرى الحقيقة بالحقيقة، لأنه تعالى هو الرائي وصفه بوصفه، وهو دون مقام المشاهدة في مقام الروح.

---

(١) للتوسع انظر: الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية (٤٣٧- ٤٤٠).



- **الأحوال:**

هي المواهب الفيّاضة على العبد من ربّه.

إما واردة عليه ميراثًا للعمل الصالح المزكي للنفس المصفّي للقلب، وإما نازلة من الحق امتنانًا محضًا.

وإنما سمّيت أحوالًا لتحوّل العبد بها من الرسوم الخُلُقية ودرجات القرب، وذلك هو معنى الترقي.

- **أخذ العهد (المبايعة) :**

المبايعة عند أخذ الطريق مصافحة ومعاهدة، وهي: «أن يجلس المريد بين يدي الشيخ يتلقى عنه ما تفرضه الطريق من واجبات، ولذلك يقال: فلان أخذَ العهد: أي قطع على نفسه عهدًا أن يعمل فيها وأن يطيع أوامر الشيخ» ذلك لأن النفس فيها عيوب، ومن أراد أن يعرف عيوب نفسه فعليه أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس، مطّلع على خفايا الآفات.

كما قال الإمام الغزالي: ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته في مجاهداته وهذا شأن المريد مع شيخه، والتلميذ مع أستاذه، فيعرفه طرق علاجه، فيأخذ المريد العهد أن يعمل بنصائح شيخه، فيطيعه في كل ما أمر به، وينتهي عما نهاه عنه.

فإذا أخلَّ المريد أو السالك بذلك العهد، بقي على عيوبه ولم يرتق في سلّم الكمالات.

• الإخلاص:

هو ما أريد به الله من أي عمل كان.

وقال رويم: الإخلاص: ارتفاع رؤيتك من الفعل.

وقال الجرجاني: أن لا تطلب لعملك شاهدًا غير الله.

وقيل: الإخلاص: تصفية الأعمال من الكدورات.

وقيل: الإخلاص: سرّ بين العبد وبين الله، لا يعلمه ملَك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله.

والفرق بين الإخلاص والصدق: أن الصدق أصل وهو الأول، والإخلاص فرع وهو تابع.

وفرق آخر: أنّ الإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في العمل.

• الأدب:

كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل فإنها يقع عليها اسم الأدب، وما وصف به من أخلاق حميدة يسمى أدبًا.

وصار الأدب عند العرب يستخدم في مكارم الأخلاق.

قال السري السقطي: الأدب ترجمان العقل.

وقال أبو حفص: حسن الأدب في الظاهر عنوان الأدب في الباطن.

وقال أبو علي الدقاق: العبد يصل بطاعته إلى الجنة، وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى.

وقال سفيان الثوري: لا يتعلم أحد العلم حتى يتعلم الأدب.

وقيل: من أساء الأدب في الظاهر عوقب في الظاهر، ومن أساء الأدب في الباطن عوقب في الباطن.

وقال أبو عثمان: إذا صحت المحبة تأكد على المحب ملازمة الأدب[١].

وقال ﷺ: «ليس منا من لم يعرف لعالمنا حقه»[٢].

وقال السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه: كل الآداب منحصرة في متابعة النبي ﷺ قولًا، وفعلًا، وحالًا، وخُلُقًا، بميزان الشريعة.

قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[٣].

من التزم الآداب الظاهرة دخل جنسية القوم، وحسب في عدادهم، ومن لم يلتزم الآداب الظاهرة فهو فيهم غير، لا يلتبس حاله عليهم، لأن استعمال الآداب دليل الجنسية، بل تكون علة الضم، قال رويم رحمه الله تعالى: التصوف كله أدب.

وهذا الأدب الذي أشارت إليه الطائفة، أدب الشرع[٤].

---

(١) انظر: الكليات (٦٥)، أبواب التصوف، باب (الأدب).
(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٨٥)، والترمذي في سننه (١٩٢٠).
(٣) [سورة الأنعام، الآية: ٣٨].
(٤) البرهان المؤيد (٦٤- ٦٥).

وقال الإمام القشيري رضي الله عنه: لو لم يكن للمريد من معرفة مقام الأدب مع الشيخ إلا قول سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[1] لكان في ذلك كفاية.

وقال الإمام بهاء الدين الرواس رضي الله عنه: ومن الأدب احترام الأولياء والصالحين العلماء، لأنهم ورثة الأنبياء على الحقيقة، وإجلال شأنهم أحياء كانوا أو أمواتًا.

وكفاك نص الكتاب المكنون: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

والولاية اختصاص بالرحمة من الرحيم المنعم الكريم، ليست مقيدة بحياة أو موت بل لما كانت من الرحمة ففي حالة الموت هي أعم وأليق[3].

وقال عبد الله بن المبارك رضي الله عنه: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم.

وقال الإمام النوري رضي الله عنه: من لم يتأدب للوقت فوقته مقت.

وقال سيدنا ذو النون رضي الله عنه: إذا خرج المريد عن حد استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء.

وأقول: ما انقطع من انقطع عن طريق القوم إلا بسبب قلة الأدب.

---

(١) [سورة الكهف، الآية: ٦٦].

(٢) [سورة يونس، الآية: ٦٢].

(٣) المجموعة النادرة لأبناء الآخرة (١٤١ - ١٤٢).

وقال سيدنا سهل التستري رضي الله عنه: من تأدب بأدب الله تعالى صار من أهل محبة الله تعالى.

وقال أيضًا: من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله بالإخلاص.

وقيل: كمال الأدب لا يصفو إلا للأنبياء والصديقين(١).

وقال أبو علي رحمه الله تعالى: ترك الأدب يوجب الطرد، فمن أساء الأدب على البساط رُدَّ إلى الباب، ومن أساء الأدب على الباب رُدَّ إلى سياسة الدواب.

وقال أبو نصر السراج رحمه الله تعالى: إن أهل الخصوصية، أكثر آدابهم في طهارة القلوب، ومراعاة الأسرار، والوفاء بالعهود، وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر، وحسن الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب(٢).

وقال الإمام النووي رضي الله عنه: يستحب لكاتب الحديث إذا مرَّ بذكر الله عز وجل أن يكتب: (عز وجل) أو (تعالى) أو (سبحانه وتعالى) أو (تبارك وتعالى) أو (جلَّ ذكره) أو (تبارك اسمه) أو (جلَّت عظمته) أو ما شابه ذلك(٣).

وكذلك يكتب عند ذكر النبي ﷺ بكمالها، لا رامزًا إليهما ولا مقتصرًا على أحدهما.

---

(١) الرسالة القشيرية، باب الأدب (٤٣٤- ٤٣٨).

(٢) مدارج السالكين (٥٦٨).

(٣) مقدمة شرح مسلم (٣٩).

وكذلك يقول عند ذكر الصحابي: (رضي الله عنه).

فإن كان صحابيًا ابن صحابي قال: (رضي الله عنهما).

كذلك يترضى ويترحم على سائر العلماء والأخيار - أي يستحب ذلك أيضًا - ويكتب كل هذا وإن لم يكن مكتوبًا في الأصل الذي يَنقُل منه فإن هذا ليس رواية وإنما هو دعاء.

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: يستحب الترضي والترحم على الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء والعُبَّاد وسائر الأخيار، فيقال: (رضي الله عنه) أو (رحمه الله) ونحو ذلك[١].

وأما ما قاله بعض أهل العلم إن قوله: (رضي الله عنه) مخصوص بالصحابة، ويقال في غيرهم: (رحمه الله) فقط، فليس كما قال، ولا يوافق عليه، بل الصحيح الذي عليه الجمهور استحبابه ودلائله أكثر من أن تحصر، قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۞ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾[٢].

وقال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى: ثم إن ذكر العلماء المعتبرين والعُبَّاد الصالحين بوصف التعظيم والإجلال، هو من صُلْب العمل بالعلم، ومن متطلبات العلم أيضًا وليس من التطويل أو الفضول في شيء[٣].

---

(١) الأذكار (١٠٠).

(٢) [سورة البينة، الآية: ٧- ٨].

(٣) رسالة المسترشدين (١٥).



ومن الأدب أن نذكر لفظ السيادة قبل اسم الحبيب محمد ﷺ وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»(١) وفي رواية: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»(٢).

وقوله عليه الصلاة والسلام: «أنا سيد الناس يوم القيامة»(٣).

وفي رواية للبيهقي: «أنا سيد العالمين».

ومن الأدب أيضًا أن نذكر لفظ السيادة قبل ذكر أسماء الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين من العلماء والأولياء الصالحين والأدلة في هذا الباب كثيرة منها:

قال ﷺ لسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما: «إن ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»(٤)

وقال ﷺ للسيدة فاطمة رضي الله عنها: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء الجنة»(٥).

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا، يعني بلالًا)(٦).

---

(١) رواه مسلم (٥٨٩٩).
(٢) رواه الترمذي في سننه (٣١٤٨).
(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣٣٤٠) ومسلم (٤٧٩).
(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣١)..
(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٣٧٨١).
(٦) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٢).

وقال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[(١)].

وقال ﷺ: «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين»[(٢)].

- **الإرادة**: جمر من نار المحبة في القلب مقتضية لإجابة دواعي الحقيقة.

- **الاستدراج**:

هو الأمر الخارق الذي يظهر من الكفار وأهل الفسق والأهواء، أي: من كان مردودًا عن طاعة الله.

وهو أنواع: فمنه المكر، والكيد، والإملاء، والإهلاك.

والفرق بين الكرامات والاستدراجات:

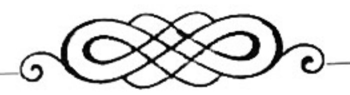
أن صاحب الكرامة لا يستأنس بتلك الكرامة، بل عند ظهور الكرامة يصير خوفه من الله أشدّ، وحذره من قهره أقوى، فإنه يخاف أن يكون ذلك من باب الاستدراج.

وأما صاحب الاستدراج فإنه يستأنس بذلك الذي يظهر عليه ويظن أنه إنما وجد تلك الكرامة لأنه يستحقها، وحينئذ يستحقر غيره ويتكبّر عليه، فيحصّل مكر الله وعقابه.

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٣٧٦٨) وقال: حديث حسن صحيح ورمز السيوطي لصحته.

(٢) رواه الترمذي في سننه (٣٦٦٤).



- **الاسم**: هو الحاكم على العبد في الوقت الحاضر. فإنّ طرق تجلي الحق دائمًا من الأسماء الإلهية.

- **الاسم الأعظم**:

هو الاسم الجامع لجميع الأسماء، وقيل: هو الله: لأنه اسم الذات الموصوفة بجميع الصفات أي المسماة بجميع الأسماء.

ولهذا يطلقون الحضرة الإلهية على حضرة الذات مع جميع الأسماء.

- **الإشارة**:

هي أبلغ من العبارة، فالإشارة علم خفيٌّ يدركه المخلص بقلبه وروحه، ويدركها الأكابر من أهل العلم.

قالوا: إن اللبيب من الإشارة يفهم.

وقالوا: الإشارة هي الإبانة عما يتضمنه الوجد من المشار إليه.

وقالوا: الإشارة إلى العمل طريق الورع.

والإشارة إلى العلم طريق العبادة.

والإشارة إلى الأمن في الرزق طريق الزهد.

والإشارة إلى الآيات طريق الأبدال.

والإشارة إلى الآلاء طريق العارفين.

• الاصطلام: هو الوله الغالب، وهو قريب من الهيمان.

والاصطلام: نعت وَلهٍ يرد على القلب، فيسكن تحت سلطانه.

• الأفراد: هم الرجال الخارجون عن نظر القطب.

• الأفق الأعلى: هو نهاية مقام الروح، وهي الحضرة الواحدية والحضرة الألوهية.

• الأفق المبين: هو نهاية مقام القلب.

• الأقطاب والأبدال والنجباء والنقباء والأخيار:

القطب: قطب القوم سيدهم الذي يدور عليه أمرهم[١].

الأبدال: هم الأولياء والعُبَّاد، واحده بِدْل كحِمْل، أو بَدَل كجَمَل، وقال ابن دريد: الواحد بديل.

سموا بذلك؛ لأنهم كلما مات واحد منهم أبدل الله تعالى مكانه آخر[٢].

ويصير البدل بدلًا بأربعة، ذكرها أبو طالب المكي في كتابه (قوت القلوب) وهي:

الصمت. العزلة.

الجوع. السهر.

---

(١) مختار الصحاح (٣٤٤).

(٢) المرجع السابق (٣١).

ونظم بعضهم هذه الأربعة بهذه الأبيات من الشعر:

بيت الولاية قسمت أركانه ساداتنا فيه من الأبدال

ما بين صمت واعتزال دائم والجوع والسهر النزيه الغالي

وقال محمد بن أبي بكر الرازي:

الأبدال: قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم إذا مات واحد منهم أبدل الله تعالى مكانه آخر[١].

النقيب: العريف وهو شاهد القوم وضمينهم وجمعه نقباء[٢].

والأبدال على قلب سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

قال رسول الله ﷺ: «الأبدال بالشام وهم أربعون رجلًا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلًا، يُسقى بهم الغيث، ويُنتصر بهم على الأعداء، ويُصرف عن أهل الشام بهم العذاب»[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «لن تخلو الأرض من أربعين رجلًا مثل خليل الرحمن، فبهم يُسقون، وبهم ينصرون، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر»[٤].

---

(١) مختار الصحاح (٣١).
(٢) المرجع السابق (٤٢٥).
(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١١٢)، وأورده السيوطي في الجامع الصغير (٣٠٣٥) ورمز لحسنه، وقال الهندي في كنز العمال (٣٤٦٠٧): سنده صحيح.
(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير (٧٣٨٠) وعزاه للطبراني وحسنه، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٦٣) وقال: إسناده حسن.

وقال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الأبدال بالشام، والنجباء بالكوفة[1].

وقال أيضًا: ألا إن الأوتاد من أبناء الكوفة، ومن أهل الشام أبدال[2].

وقال أيضًا: الأبـدال بالشام، والنجباء من أهل مصر، والأخيار من أهل العراق[3].

وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه: الأبدال بالشام، والنجباء بمصر، والعصب باليمن، والأخيار بالعراق[4].

وقال الكتاني: النقباء ثلاث مئة، والنجباء سبعون، والبدلاء أربعون، والأخيار سبعة، والعمد أربعة، والغوث واحد، فمسكن النقباء المغرب، ومسكن النجباء مصر، ومسكن الأبدال الشام، والأخيار سيَّاحون في الأرض، والعمد في زوايا الأرض، ومسكن الغوث مكة، فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء، ثم النجباء، ثم الأبدال، ثم الأخيار، ثم العمد، فإن أجيبوا وإلا ابتهل الغوث، فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته[5].

وقال بعض العارفين: القطب هو الواحد الذي على قلب إسرافيل، ومكانه من الأولياء كالنقطة في الدنيا هي مركزها، وبه يقع صلاح العالم[6].

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١/ ١١٤ مختصر).
(٢) المرجع السابق (١/ ١١٥ مختصر).
(٣) المرجع السابق (١/ ١١٤ مختصر).
(٤) ذكره السيوطي في الحاوي (٢/ ٤٦٧).
(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١/ ١١٦ مختصر).
(٦) ذكره السيوطي في الخبر الدال (٦٢).

وقال سهل التستري رضي الله عنه: صارت الأبدال أبدالًا بأربعة: قلة الكلام، وقلة الطعام، وقلة المنام، واعتزال الأنام[١].

وقيل: يعرف الأولياء في الخلق: بلطف لسانهم، وحسن أخلاقهم، وسخاوة أنفسهم، وبشاشة وجوههم، وقلة اعتراضهم، وقبول عذر من اعتذر إليهم، وتمام الشفقة على جميع الخلق برهم وفاجرهم[٢].

- **الإلهام**: هو ما يُلْقَى في الرَّوْع بطريق الفيض.

وقيل: الإلهام: هو ما وقع في القلب من علم وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجّة، وهو ليس بحجة عند العلماء إلا عند الصوفيين[٣].

وأقول حجة عند الصوفيين بشروط:

أن تكون أنوار الإلهام موافقة للكتاب والسنة.

أن يحتفظ بها لنفسه ولا يجوز له فرضها على أحد.

وهناك فرق بين الإلهام والوسوسة:

فالإلهام: ما يلقى في الرَّوع بطريق الفيض.

والوسوسة: ما يلقى في الرَّوع بطريق غير الفيض.

---

(١) ذكره السيوطي في الخبر الدال (٦٨).
(٢) تنوير السائل (٢٢٧).
(٣) التعريفات (٩١).

ويكون الإلهام من قبل الله مباشرة أو بواسطة ملك من الملائكة، والإلهام يدعو إلى العمل الصالح، ويعمل الملهم به ما لم يخالف حجة شرعية ثابتة سواء كانت إجماعًا أو قياسًا، واستدلوا على الإلهام بأدلة منها:

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى ﴾[1].

قال الألوسي في تفسيره عند هذه الآية: المراد بالإيحاء عند الجمهور ما كان بإلهام كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾[2][3].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾[4].

ويختلف الإلهام الذي هو من الله، عن الهاجس الذي هو حديث النفس وعن الوسواس الذي هو من الشيطان وإذا كان الخطاب من الله تعالى فمكانه القلب، وهذا ما يدعى بالخاطر، وإذا كان بواسطة الملك فيعلم صدقه بموافقة الشرع.

أهم الطرق المؤدية للإلهام:

هي التزام الشرع في الأمر والنهي، والبعد عن الشهوات، والتقرب إلى الله بمزيد الطاعات والعبادات والمجاهدات.

---

(١) [سورة القصص، الآية: ٧].

(٢) [سورة النحل، الآية: ٦٨].

(٣) تفسير الألوسي (١٦/ ١٧٠).

(٤) [سورة المائدة، الآية: ١١١].



قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾[2].

والمراد بالعلم اللدني: هو ما حصل عن طريق الإلهام بدون تكلف أو طلب، وهو ما مَنَّ الله به على قلوب أوليائه من المعارف التي يتحقق بها الإصلاح للخلق.

ويرى الغزالي رحمه الله أن مجاهدة النفس طريق الإلهام.

ولا بد قبل كل شي: من التفقه بالدين وتحصيل العلوم الشرعية ثم التجمل بأخلاق الشرع والابتعاد عن الشهوات والشبهات.

- **الإنانة**: قولك أنا.
- **الإنانية**: هي الحقيقة التي يضاف إليها كل شيء من العبد، كقوله: نفسي، قلبي، يدي...
- **الانتباه**: زجر الحق للعبيد على طريق العناية.
- **الانزعاج**: هو أثر الواعظ الذي في قلب المؤمن، وقد يطلق ويراد به: التحرك للوجد والأنس.
- **الأنس**: هو فرح القلب بالمحبوب وانبساطه به.

---

(١) [سورة البقرة، الآية: ٢٨٢].

(٢) [سورة الكهف، الآية: ٦٥].

وقالوا: إذا كثر الإحسان قلَّ التأديب.

وترتفع الحشمة مع وجود الهيبة، فمع الحشمة يكون الرجاء أغلب عليه من الخوف[١] كقول سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[٢] و﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[٣].

وبعضهم يعبر عن الأنس تارة بروح القرب، وتارة بأثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب، وهو جمال الجلال.

ويشيرون أيضًا بالأنس إلى حصول الصحو بالحق.

ولهذا قالوا: كل مستأنس صاحٍ.

وقال الجنيد: كنت أسمع السري يقول: يبلغ العبد في أنسه إلى حين: الرضا بربه، والأنس بقربه.

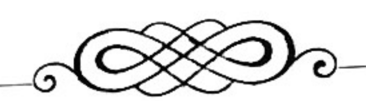
والآنس: هو الراضي بالحق، فهو لا يسخط لشيء، ولا يستوحش من شيء.

وقيل: هو من تحقق برؤية بطون النعمة في كل نقمة[٤].

• الباطل:

ما سوى الحق، وهو العدم إذ لا وجود في الحقيقة إلا للحق، لقوله عليه

(١) نظرات في التصوف الإسلامي (١٠٥).
(٢) [سورة البقرة، الآية: ٢٦٠].
(٣) [سورة الأعراف، الآية: ١٤٣].
(٤) لطائف الإعلام في إشارت أهل الإلهام (٩٠- ٩١).



الصلاة والسلام: «أصدق كلمة قالها لبيد بن ربيعة: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل».

• **البدنة**: كناية عن النفس الآخذة في السير القاطعة لمنازل السائرين ومراحل السالكين.

• **البرزخ**: العالم المشهود بين عالم المعاني والأجسام.

والبرزخ: هو الحائل بين الشيئين، ويعبّر به عن العالم المثال. ويأتي بمعنى الحاجز بين الأجساد الكثيفة وعالم الأرواح المجردة، أعني الدنيا والآخرة.

• **البرق**: أول ما يبدو للعبد من اللامع النوري، فيدعوه إلى الدخول في حضرة القرب من الرب للسير في طريق الله.

• **البصيرة**:

هي قوة للقلب الـمُنَوَّر بنور القدس، تُرَى بها حقائق الأشياء وبواطنها، بمثابة البصر للنفس تُرَى به صور الأشياء وظواهرها، وهي التي يسميها الحكماء: العاقلة النظرية والقوة القدسية[١].

وقيل: البصيرة قوة باطنة هي للقلب كعين الرأس.

ويقال: هي عين القلب عندما ينكشف حجابه، فيشاهد بها بواطن الأمور، كما تشاهد عين الرأس ظواهرها.

---

(١) التعريفات (١٠٥).

وقالوا: البصيرة ما يُخَلِّص من الحيرة[١].

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[٢].

أي أنا وأتباعي على بصيرة[٣].

• **البقرة**: كناية عن النفس إذا استعدت للرياضة وبدت فيها صلاحية قمع الهوى الذي هو حياتها كما يكنى عنها بالكبش قبل ذلك وبالبدنة بعد الأخذ في السلوك.

• **البكاء**:

هو قطارة نار الشوق، وقطر سحاب الزفير، وعنوان كتاب الوجد.

قال أبو سليمان الداراني: لكل شيء علامة، وعلامة الخذلان ترك البكاء.

وقال أحمد بن أبي الحواري: أفضل البكاء بكاء العبد على ما فاته من أوقاته على غير الموافقة، أو بكاء على ما سبق له من المخالفة.

• **البوادة**: هي ما يَفْجأ القلب من الغيب على سبيل الوَهْلة، إما مُوجبُ فرح أو موجب تَرَح[٤].

• **بيت الإخلاص**: هو القلب الغالب عليه بالإخلاص.

---

(١) لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (١١٠).
(٢) [سورة يوسف، الآية: ١٠٨].
(٣) مدارج السالكين (٦٣٢).
(٤) التعريفات (١٠٧).

- بيت العزة: هو القلب الواصل إلى مقام الجمع حال الفناء في الحق.

- البيت المحرم: وهو قلب الإنسان الكامل الذي حرم على غير الحق.

- البيت المقدس: هو القلب الطاهر من التعلق بالغير.

- التأنيس: هو التجلي في المظاهر الحسية تأنيسًا للمريد المبتدئ بالتزكية والتصفية.

ويسمى: التجلي الفعلي، لظهوره في صور الأسباب.

- التبتل:

هو الانقطاع إلى الله بالكلية، والإشارة إليه بقول الله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[1] فقوله [إليه] دعوة إلى التجريد المحض.

والتبتل على ثلاثة أقسام:

١. **تبتّل العامة**: هو التجريد عن اللواحظ للناس.

٢. **تبتّل المريد**: هو التجريد عن اللواحظ إلى ما تدعو النفس إليه.

٣. **تبتّل الواصل**: هو انقطاعه عما سوى الحق.

- التجريد:

هو إماطة السوى والكون عن السر والقلب، إذ لا حجاب سوى الصور

---

(١) [سورة المزمل، الآية: ٨].

الكونية والأغيار المنطبقة في ذات القلب، والسر فيهما كالنُّـتُوء والتشعيرات في سطح المرآة القادحة في استوائه المزايلة لصفائه[١].

وقيل: التجريد أن يتجرد بظاهره عن الأغراض، وبباطنه عن الأعواض، وهو ألا يأخذ من عرض الدنيا شيئًا، ولا يطلب ما ترك منها عوضًا عن عاجل ولا آجل، بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى لا لعلة من العلل، ولا لسبب سواه، ويتجرد بسره عن ملاحظة المقامات التي يَحْلها، والأحوال التي ينازلها، بمعنى السكون إليها والاعتناق لها[٢].

• التجلي:

هو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب[٣].

أنواع التجلي:

التجلي الذاتي: ما يكون مبدؤه الذات، من غير اعتبار صفة من الصفات معها، وإن كان لا يصلح ذلك إلا بواسطة الأسماء والصفات، إذ لا يتجلى الحق من حيث ذاته على الموجودات إلا من وراء حجاب من الحجب الأسمائية.

التجلي الصفاتي: ما يكون مبدؤه من الصفات من حيث تعيينها وامتيازها عن الذات[٤].

---

(١) التعريفات (١١٤).
(٢) نظرات في التصوف الإسلامي (١٠٦).
(٣) التعريفات (١١٣).
(٤) التعريفات (١١٤).

• التجلي:

هو الاتصاف بالأخلاق الإلهية [١]، وقيل: هو الاتصاف بأخلاق العبودية، وهو الصحيح فإنه أتم وأزكى [٢].

• التخلي: هو اختيار الخلوة والإعراض عن كل ما يشغل عن الحق [٣].

• التداني: معراج المقربين.

• الترقي: التنقل في الأحوال والمقامات والمعارف.

• التزكية:

هي تطهير النفس والعروج بها علويًا مع تحريرها من الغرائز والشهوات من كل ما يشين أو ينحط بها، فالنفس الزاكية هي نفس متطهرة من الأدران، منارة بأنوار الرحمن عز وجل. قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [٤].

وفي تفسير القرطبي: أفلح من زكّى نفسه بطاعة الله تعالى، وصالح الأعمال.

وأصل الزكاة: النمو والزيادة.

وفي محرر الوجيز: زكّاها: معناها طهّرها ونمّاها بالخيرات.

---

(١) المرجع السابق (١١٦).
(٢) لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (١٢٤).
(٣) التعريفات (١١٦).
(٤) [سورة الشمس، الآية: ٩].

وقال بعضهم: التصوف هو علم تزكية النفوس، لذلك كان أمر معالجة النفوس من أولى محطات السفر الصوفي في الطريق.

• التصوف:

مذهب كلُّه جِدٌّ، فلا يخلطونه بشيء من الهزل، وقيل: هو تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبعية وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدعاوى النفسية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاق لله تعالى على الحقيقة، واتباع رسوله ﷺ في الشريعة.

وقيل: ترك الاختيار.

وقيل: بذل المجهود والأنس بالمعبود.

وقيل: الإعراض عن الاعتراض.

وقيل: هو صفاء المعاملة مع الله تعالى، وأصله التفرغ عن الدنيا.

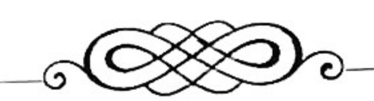
وقيل: الصبر تحت الأمر والنهي.

وقيل: هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرًا وباطنًا وهي الأخلاقُ الإلهية، وقد يُقال بإزاء إتيان مكارم الأخلاق وتجنب سَفْسَافها[١].

وقال الشيخ محيي الدين بن عربي: التصوف كله أخلاق فمن زاد عليك في الأخلاق زاد عليك في التصوف.

---

(١) التعريفات (١٢٣).



وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: التصوف هو الصدق مع الحق، وحسن الخُلُق مع الخَلْق[١].

وقال الشيخ ابن عجيبة: التصوف هو لب الإسلام[٢].

وقال الشيخ معروف الكرخي: التصوف هو: الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق[٣].

• **التفرقة**: هي توزيع الخاطر للاشتغال بالخَلْق.

• **التفريد**:

أن ينفرد عن الأشكال، وينفرد في الأحوال، ويتوحد في الأفعال، بأن تكون أفعاله لله تعالى وحده، فلا يكون فيها رؤية نفس، ولا مراعاة خلق، ولا مطالعة عوض، ولا يرى لنفسه حالًا.

وقيل: التجريد أن لا يَمْلِك، والتفريد: أن لا يُمْلَك[٤].

• **التفسير الإشاري**:

هو تأويل القرآن على غير ما يظهر منه بمقتضى إشارات خفية ونكات لطيفة تظهر لأهل السلوك والأحوال.

---

(١) أبواب التصوف (٢٩٠).
(٢) معراج التشوف إلى حقائق التصوف (٤).
(٣) تاريخ التصوف الإسلامي (١٧).
(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف (١١٠- ١١١).

مثالــه: تأويــل ابن عبــاس وعمر قــول الله تعالــى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[1].

على أنه أجل رسول الله ﷺ، أعلمه الله له.

وللتفسير الإشاري شروط، منها:

عدم مناقضته لظاهر النص القرآني.

عدم دعوى أن التفسير الإشاري هو وحده المراد دون أوجه التفسير الأخرى.

عدم معارضة التفسير الإشاري لدليل شرعي أو عقلي.

ومن أهم التفاسير الإشارية: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للحسن ابن محمد النيسابوري[2].

- التكية:

هي عبارة عن بناء خاص تجتمع فيه الصوفية والدراويش، ويقيمون فيه حلقات الذكر في ليال معينة من الأسبوع، كما أنه يؤوي غالبًا المسافرين ومن انقطعت بهم السبل، فيقدم إليهم الطعام والشراب والفراش للنوم.

(التكية) كلمة تركية، تقابلها (الخانقاه) في الفارسية، و(الزاوية) في اللغة العربية.

---

(١) [سورة النصر، الآية: ١].

(٢) التعريفات (١٢٦).

• التلوين:

هو تنقل العبد في أحواله، وهو عند الأكثرين: مقام ناقص، وقيل: هو أكمل المقامات، وحال العبد فيه قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[١].

والتلوين: صفة أرباب الأحوال.

صاحب التلوين ما دام في الطريق فهو يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف فإذا وصل تمكن.

وصاحب التلوين دائمًا في الزيادة[٢].

وأول مراتب التلوين هي التلوين الحاصل في مرتبة التجلي الظاهري الذي هو عبارة عن ظهور آثار الأسماء الإلهية[٣].

• التمكين:

وهو مقام الرُّسوخ والاستقرار على الاستقامة، وما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين، لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، فإذا وصل واتصل فقد حصل التمكين[٤].

والتمكين: صفة أهل الحقائق وصاحب التمكين وصل ثم اتصل[٥].

---

(١) [سورة الرحمن، الآية: ٢٩].

(٢) الرسالة القشيرية (١٥٥).

(٣) لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (١٤٥).

(٤) التعريفات (١٣١).

(٥) الرسالة القشيرية (١٥٥).

والتمكن عبارة عن غاية الاستقرار في كل مقام.

وقيل: التمكين عبارة عن التمكين في التلوين[1].

• الجبروت:

عالم العظمة، وعند الأكثرين هو العالم الوسط، وقيل: هو عالم الأسماء والصفات الإلهية.

• الجذب:

هو حال يصل إليها من داوم على الذكر والتقرب إلى الله عزَّ وجل، حتى إذا تحقق الأنس به سبحانه نجده قد تخلى عن بدنه وكل ما هو حسيّ، وما هو دنيويّ طينيّ.

والشخص الواصل يسمونه: المجذوب والجمع: مجاذيب.

والجذب يكون بعد معاينة الكشف، ويكون بعد الامتلاء من الوجد.

• الجذبة:

هي تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيئة له كل ما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعي منه.

• الجرس: إجمال الخطاب بضرب من القهر.

• الجلال: نعوت القهر من الحضرة الإلهية.

---

(١) لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (١٤٦).



• الجلوة: خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية.

• الجمال: نعوت الرحمة والألطاف من الحضرة الإلهية.

• جمع الجمع:

التفرقة: شهود الأغيار لله عز وجل.

والجمع: شهود الأغيار بالله عز وجل.

وجمع الجمع: هو الاستهلاك بالكلية، وفناء الإحساس بما سوى الله عز وجل عند غَلَبات الحقيقة(١).

وجمع التفرقة: هو صفة من تفرقته إلى جمعيته، المشار إلى هذا الرجوع(٢) بقوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾(٣).

إذ كانت حقيقة الجمع هي غاية مقامات السالكين، وهو طرف بحر التوحيد(٤).

وأنا أقول: وحقيقة جمع الجمع هي الذوبان في بحر التوحيد.

• الجمع والفرق:

الجمع: ما سُلِبَ عنك.

---

(١) الرسالة القشيرية (١٤٢).
(٢) لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (١٧٥).
(٣) [سورة الفجر، الآية: ٢٧- ٢٨].
(٤) مدارج السالكين (٩٣٤).

الفرق: ما نُسِبَ إليك.

ومعناه: أن ما يكون كسبًا للعبد من إقامة العبودية، وما يلي بأحوال البشرية، فهو: فرق.

وما يكون من قبل الحق، من إبداء معان، وإسداء لطف وإحسان فهو: جمع.

والفرق: هو من شهود الأفعال، فمن أشهده الحق أفعاله من طاعاته ومخالفاته فهو عبد بوصف التفرقة.

ومن أشهده الحق ما يوليه من أفعال نفسه سبحانه فهو عبد بشاهد الجمع.

ووجه التفرقة والجمع:

في قوله: نعبد: استقلال، اعتبارًا بظاهر الحال.

وفي قوله: نستعين: الرجوع إلى قوة الكبير المتعال.

فإثبات الخلق من باب التفرقة، وإثبات الحق من باب الجمع، ولا بد للعبد من باب الجمع والفرق.

فإنه من لا تفرقة له لا عبودية له، ومن لا جمع له لا معرفة له.

فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ إشارة إلى الفرق.

وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ إشارة إلى الجمع.

وإذا ما خاطب العبد الحق سبحانه وتعالى بلسان نجواه: إما سائلًا أو داعيًا أو مثنيًا أو شاكرًا أو متنصلًا أو مبتهلًا قام في محل التفرقة.

وإذا أصغى بسره إلى ما يناجيه به مولاه، واستمع بقلبه ما يخاطب به، فيما ناداه أو ناجاه أو عرَفه أو لوَّح لقلبه وأراده فهو بشاهد الجمع.

قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾(١).

هذه الآية تدل على الجمع، فهذه الآية نزلت في شأن رميه ﷺ المشركين يوم بدر بقبضة من الحصباء، فلم تدع وجه أحد منهم إلا أصابته، ومعلوم أن تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ، فكان منه صلى الله عليه وسلم مبدأ الرمي وهو الحذف، ومن الله سبحانه وتعالى نهايته وهو الإيصال.

فأضاف إليه رمي الحذف الذي هو مبدؤه، ونفى عنه رمي الإيصال الذي هو نهايته.

ونظير هذا، قوله في الآية نفسها: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فأخبره: أنه هو وحده الذي تفرد بقتلهم(٢).

فالجمع إذن هو الاشتغال بشهود الله عما سواه، والتفرقة هي الاشتغال عن الله بما سواه(٣).

وقد ذكر الإمام القشيري رحمه الله أن قوالًا أنشد بين يدي الأستاذ أبي سهل الصعلوكي رحمه الله: (جعلت تنزهي نظري إليك) وكان أبو القاسم النصر أباذي حاضرًا فقال الأستاذ أبو سهل: جعلتَ بنصب التاء، وقال النصر

---

(١) [سورة الأنفال، الآية: ١٧].

(٢) مدارج السالكين (٩٣٠).

(٣) لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (١٧٤).

أباذي: بل جعلتُ بضم التاء، فقال الأستاذ أبو سهل: أليس عين الجمع أتم؟!
فسكت النصر أباذي.

ومعنى: جعلتُ إخبارًا عن حال نفسه، وبالفتح جعلتَ يتبرأ من عمله،
فالأول: على خطر الدعوى (جعلتُ).

والثاني: بوصف التبري من الحول (جعلتَ)[1].

- **الجمعية**: هي اجتماع الهم في التوجه إلى الله والاشتغال به عما سواه.
- **جنة الذات**: هي من مشاهدة الجمال الأحدي، وهي جنة الروح.
- **جنة الصفات**: هي الجنة المعنوية من تجليات الصفات والأسماء الإلهية، وهي جنة القلب.
- **جنة الوراثة**: هي جنة الأخلاق الحاصلة بحسن متابعة النبي عليه السلام.
- **جهاد النفس**: إن مجاهدة النفس التي هي بين جنبي الإنسان أولى المهام في تكوين الشخصية، ومن ينتصر على نفسه يكن مؤهلًا للانتصار على فتن الشيطان وللانتصار على كل عدو له.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[2].

- **الجوع**:

هو الذي يطهر النفس من سلطان الشهوات، ويهتك الحجب المادية،

---

(١) الرسالة القشيرية (١٤٢).
(٢) [سورة العنكبوت، الآية: ٦٩].



ويجعل القلوب صالحة لتلقّي الأنوار القدسية الإلهية التي لا نور سواها يُستضاء به.

قال أبو سليمان الداراني: مفتاح الآخرة الجوع، ومفتاح الدنيا الشبع، وأصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عزَّ وجل.

• الحَالُ:

معنى يرد على القلب من غير تعمد، ولا اجتلاب، ولا اكتساب، من: طرب، أو حزن، أو بسط، أو قبض، أو شوق، أو هيبة، أو احتياج، أو انزعاج.

الأحوال كالبروق، فإن بقي الحال فحديث نفس.

الأحوال كاسمها، يعني أنها: كما تحل بالقلب تزول في الوقت.

والأحوال: مواهب، بينما المقامات: مكاسب.

والأحوال تأتي من غير جهد، والمقامات تأتي ببذل المجهود.

وصاحب الحال مترق عن حاله، فتتغير حاله.

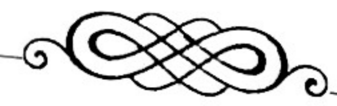
وصاحب المقام ممكن في مقامه(١).

قال القشيري: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمهما الله يقول في معنى قوله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله تعالى في اليوم سبعين مرة»(٢).

---

(١) الرسالة القشيرية (١٣٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٢).



أن رسول الله ﷺ كان أبدًا في الترقي من أحواله، فإذا ارتقى من حالة إلى حالة هي أعلى مما كانت قبلها، فربما حصل له ملاحظة إلى ما ارتقى عنها، فكان يعدها (غينًا) فأحواله كانت في التزايد، وعلى هذا قيل: (حسنات الأبرار سيئات المقربين).

وقال الجرجاني: الحال: هو تغير الأوصاف على العبد[١].

وقال أبو عثمان الحيري: منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته، فأشار إلى دوام الرضا[٢].

• **الحجاب**:

قال الجرجاني في «التعريفات»:

الحجاب كل ما يستر مطلوبك، وهو عند أهل الحق: انطباع الصور الكونية في القلب المانعة لقبول تجلي الحق.

و قال ابن عربي: الحجاب كل ما ستر مطلوبك عن عينك.

• **الحرف**: اللغة، وهو ما يخاطبك الحق به من العبارات.

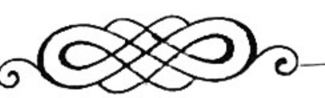
• **الحرية**:

هي الانطلاق عن رق الأغيار، وهي على مراتب:

حرية العامة: عن رق الشهوات.

(١) التعريفات (١٤٤).

(٢) الرسالة القشيرية (١٣٣).



حرية الخاصة: عن رق إرادتهم، لفناء إرادتهم في إرادة الحق.

حرية خاصة الخاصة: عن رق الرسوم والآثار، لانمحاقهم في تجلي نور الأنوار.

الحرية: إقامة حقوق العبودية لله تعالى، فهو حرٌّ عن سوى الله.

• **الحضرة**:

هي حضور القلب مع الله، وهي الركن الهام في طريق القوم، وهذا الركن هو الاجتماع على ذكر الله عز وجل تحت إمارة الشيخ أو وكيله المسمى بالمقدم، يبدأ بتلاوة من القرآن الكريم، ثم تنشد أناشيد من أقوال العارفين بالله مأخوذة بما فيها من القرآن والسنة وأفهام العلماء بالله مثل: الشيخ محمد بهاء الدين الرواس، والشيخ عبد الغني النابلسي، وابن الفارض وغيرهم.

ثم تقوم الجماعة للذكر، ويبقون على حالة الذكر حتى يأذن الشيخ أو المقدم بختامها، وبعد ذلك يقرأ أحد الإخوة بعض الآيات من القرآن الحكيم ويتم تفسيرها من قبل الشيخ أو وكيله.

وإن الحضرة منقولة ومتوارثة عن كبار الأشياخ من العارفين، فهي مقررة في كتبهم ومظهر من مظاهر التصوف في سلوك طريقهم عند سيدي أحمد الرفاعي والجنيد والجيلاني والشاذلي والشعراني والحاتمي والنقشبندي والبدوي والدسوقي والقشيري وغيرهم رضي الله عنهم جميعًا.

والاصطلاح على كيفيتها هو من باب البدعة الحسنة.

والحضرة تسمى حلقة الذكر.

وجواز حلق الذكر شرعًا بشكل جماعي جهرًا وقيامًا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[١].

فـ: (الذين) تدل على الجماعة، و(قيامًا) تدل على جواز الذكر واقفًا.

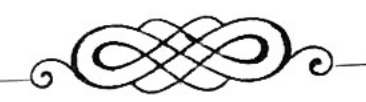
وقال تعالى في الذكر الجماعي: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[٢]. وقال رسول الله ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»، فقالوا: يا رسول الله! وما رياض الجنة؟ قال: «حلق الذكر»[٣].

وقال الشيخ مصطفى المدني:

إن القوم لما كان جلُّ قصدهم ذكر الله في سائر أوقاتهم أوجب لهم اشتغال أنواره في بواطنهم وأجسادهم، فجعلوا حلقة الذكر والجهر به دواء لحالهم وسببًا لنشاطهم، واسترواحًا لقلوبهم، وزيادة على السير إلى مقصودهم، ولسريان المدد بينهم وجمع الهمة على محبوبهم، وطردًا لداء الكسل والفتور والنوم وسدًا لباب الغفلة الموجب للمعاصي، وجعلوا لحلقة الذكر الجهري كيفية وشروطًا وآدابًا[٤].

وسئل الإمام السيوطي عن حلق الذكر والجهر في المساجد، فقال: لا كراهة فيه، وجوز ذلك العز بن عبد السلام والبلقيني وغيرهم كثير.

(١) [سورة آل عمران، الآية: ١٩١].
(٢) [سورة الأحزاب، الآية: ٤١- ٤٢].
(٣) رواه الترمذي في سننه (٣٥١٠).
(٤) النصرة النبوية (١٧٣).



وربنا عز وجل قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[١].

فهذا عموم بيّن لا يخرج عن نطاقه إلا إذا أخرجه نص آخر من طريق الاستثناء والتخصيص، وكما أنه لم يرد نص بتحديد حالة أو وقت معين له، كذلك لم يرد نص يأمر بتجنب حالة مخصوصة أو وقت محدد له[٢].

والخلاصة: أن غالب طرق التربية والإرشاد لا تخلو من الحضرة كمظهر من مظاهرها وذلك للنفع الحاصل فيها، من ذكر الله عز وجل ومراقبته ونزول الرحمات بذكر الصالحين فيها والإرشاد الحاصل بالسماع والإنشاد، والبركة الحاصلة بالحركة، فهي مما سنه السادات العارفون، ولا دليل لمنكرها، لأن الأصل في الأشياء الإباحة حيث لا تعارض أصلًا، بل هي سبيل لتحريك القلب والتوجه به نحو ربه سبحانه[٣].

- الحضور: حضور القلب بالحق عند الغيبة عن الخلق.

- الحق: ما وجب على العبد من جانب الله.

- الحكمة:

هي العلم بحقائق الأشياء، وأوصافها، وخواصها، وأحكامها، على ما هي عليه، وارتباط الأسباب بالمسببات وأسرار انضباط نظام الموجودات والعمل

(١) [سورة آل عمران، الآية: ١٩١].
(٢) السلفية (٩٢).
(٣) الإبريز (٢/ ١٨٠).

بمقتضاه ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[١].

• الخاتم: هو الذي قطع المقامات بأسرها، وبلغ نهاية الكمال، وبهذا المعنى يتعدد ويتكثر.

• خرقة التصوف:

هي ما يلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يده لأمور:

منها التزيي بزي المراد أن يلتبس بصفاته كما يلبس ظاهره بلباسه وهو لباس التقوى ظاهرًا وباطنًا.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[٢].

ومنها وصول بركة الشيخ الذي لبسه من يده المباركة إليه.

ومنها المواصلة بينه وبين الشيخ فيبقى بينهما الاتصال القلبي والمحبة دائمًا.

ويذكره الاتباع على الأوقات في طريقته وسيرته وأخلاقه وأحواله حتى يبلغ مبلغ الرجال.

• خلع العادات: وهو التحقق بالعبودية موافقة لأمر الحق بحيث لا يدعوه داعية إلى مقتضى طبعه وعادته.

---

(١) [سورة البقرة، الآية: ٢٦٩].

(٢) [سورة الأعراف، الآية: ٢٦].

• الخلوة: هي العزلة عن الناس، وعن الأسباب الداعية للكدر والهم والضيق لتصفو هذه النفس، ومن ثم من أراد أن تترقى نفسه، وتشرق روحه، فعليه بالخلوة.

وهي انقطاع عن البشر لفترة محدودة، وترك للأعمال الدنيوية لمدة يسيرة، كي يتفرغ القلب من الدنيا ومشاغلها، ثم إشغاله بذكر الله تعالى والتفكر في آلائه آناء الليل وأطراف النهار؛ بإرشاد مرشد يعلمه إذا جهل ويذكره إذا غفل وينشطه إذا فتر والدليل على مشروعيتها:

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾[1].

والتبتل هو الانقطاع للعبادة وترك للعوائق التي تحول دون مراقبة الله تعالى.

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث (يتعبد) فيه الليالي ذوات العدد[2].

قال الإمام النووي في شرح قولها (ثم حبب إليه الخلاء): أما الخلاء فهو الخلوة وهي شأن الصالحين وعباد الله العارفين.

وقال الإمام الخطابي: حببت إليه العزلة ﷺ لأن معها فراغ القلب، وهي معينة على التفكر وبها ينقطع عن مألوفات البشر ويتخشع قلبه[3].

(١) [سورة المزمل، الآية: ٨].
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٩٥٣) ومسلم (١٦٠).
(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (٢/ ١٩٨).

ولقد ثبت أن سيدنا محمدًا ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان.

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: من أحب أن يفتح الله قلبه ويرزقه العلم فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء وبعض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب[١].

والخلوة هي من صفات أهل الصُّفَّة.

وقالوا: لا بد للمريد في ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه، ثم في نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه[٢].

والعزلة في الحقيقة هي اعتزال الخصال الذميمة.

وقال أبو بكر الوراق: وجدت خير الدنيا والآخرة في الخلوة والقلة، وشرهما في الكثرة والاختلاط[٣].

وقال ذو النون المصري: لم أرَ شيئًا أبعث على الإخلاص من الخلوة.

وقال مكحول الشامي: إن كان في مخالطة الناس خير فإن العزلة السلامة.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: الوحدة جليس الصديقين.

وقال الشبلي: من علامة الإفلاس الاستئناس بالناس.

---

(١) بستان العارفين (٤٧).

(٢) الرسالة القشيرية (١٨٢).

(٣) المرجع السابق (١٨٣).

وقال يحيى بن أبي كثير: من خالط الناس داراهم، ومن داراهم راءاهم.

وقال الإمام الجنيد: من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس فإن هذا الزمان زمان وحشة، والعاقل من اختار فيه الوحدة.

وقيل لابن المبارك: ما دواء القلب؟ فقال: قلة ملاقاة الناس[١].

وأقول: فوائد العزلة والخلوة كثيرة جدًا منها:

صفاء القلب، الانقطاع عن مألوفات البشر، التفكر، الإكثار من ذكر الله، تهذيب النفس وتزكيتها، راحة القلب من الشواغل الدنيوية، السلامة من آفات اللسان، السلامة من آفات النظر، حفظ القلب من آفات الرياء والنفاق، الزهد في الدنيا وزينتها، البعد عن مخالطة من لا نحب، التفرغ للعبادة.

- **الخواطر**:

هي خطاب يرد على الضمائر، وهو قد يكون بإلقاء ملك، وقد يكون بإلقاء شيطان، ويكون أحاديث النفس، ويكون من قبل الحق سبحانه.

فإذا كان من الملك فهو: الإلهام.

وإذا كان من قبل النفس قيل له: الهواجس.

وإذا كان من قبل الشيطان فهو: الوسواس.

وإذا كان من قبل الله سبحانه وإلقائه في القلب، فهو: خاطر حق، وجملة

---

(١) الرسالة القشيرية (١٨٤- ١٨٥).

ذلك من قبيل الكلام، أي: الكلام النفسي الملقى في الضمائر.

واتفق المشايخ على أنه من كان أكله من الحرام لم يفرق بين الإلهام والوسواس.

وفرَّق الجنيد بين هواجس النفس ووساوس الشيطان: بأن النفس إذا طالبتك بشيء ألحت، فلا تزال تعاودك ولو بعد حين حتى تصل إلى مرادها، ويحصل مقصودها.

وأما الشيطان إذا دعاك إلى زلة فخالفته بترك ذلك، فإنه يوسوس بزلة أخرى لأن جميع المخالفات له سواء، وإنما يريد أن يكون داعيًا أبدًا إلى زلة ما، ولا غرض له في تخصيص واحد دون واحد[1].

وقالوا: كل خاطر لا يشهد له العالم الشرعي بصحته فهو شيطاني[2].

- **الدرة البيضاء**: العقل الأول.

- **الدرويش**: يُرجع معظم اللغويين أصل الكلمة إلى اللغة الفارسية وأما من حيث الدلالة فتعني: الفقير.

والعلامة المميزة لهذه الطائفة التقشف. والدروشة لا تكون إلا في صفوف العامة وليست في صفوف العلماء.

- **ذخائر الله**: هم قوم من أوليائه تعالى يدفع بهم البلاء عن عباده كما يدفع بالذخيرة بلاء الفاقة.

---

(١) الرسالة القشيرية (١٦٠- ١٦١).

(٢) لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (٢٠٣).

- **الذهاب**: غيبة القلب عن حس كل محسوس بمشاهدة محبوبه، كان المحبوب ما كان.

- **الذوق والشرب**:

من ثمرات التجلي ونتائج الكشوفات وبوادر الواردات.

فأوله: الذوق، ثم الشرب، ثم الري.

رحم الله القائل: من ذاق عرف ومن عرف اغترف.

وقال ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا ورسولًا»[١].

وقال ﷺ: «ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر، بعد أن أنقذه الله، كما يكره أن يقذف في النار»[٢].

ورحم الله القائل:

عجبت لمن يقول ذكرت ربي ... فهل أنسى فأذكر ما نسيت؟
شربت الحب كأسًا بعد كأس ... فما نفد الشراب ولا رويتُ

ويقال: كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد البسطامي:

هاهنا من شرب من كأس المحبة لم يظمأ بعده.

---

(١) رواه مسلم (١٥١).
(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٦)، ومسلم (٤٣).

فكتب إليه أبو يزيد: عجبت من ضعف حالك!! هاهنا من يحتسي بحار الكون وهو فاغر فاه يستزيد، إلا على أسرار معتقة، وأرواح عن رق الأشياء محررة[(١)].

• الرابطة الشريفة:

وتسمى (الحب في الله).

فالسالك إذا جعل ارتباطه بشيخه قويًا يجد حبه أشد، والمرء يحشر مع من أحب.

فالرابطة بالشيخ هي ملخص الأوراد وعطرها وهو تفسير: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾.

فالذي يحب النبي ﷺ يحشر معه والذين أنعم الله عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[(٣)].

فاتباع الشيخ اتباع أمر الله تعالى، لأن الشيخ مليء بالإنابة إلى الله تعالى، ولا بد للاتباع من الاطلاع.

(١) الرسالة القشيرية (١٤٨- ١٤٩).
(٢) [سورة النساء، الآية ٦٩].
(٣) [سورة لقمان، الآية: ١٥].

وقال الشيخ خالد النقشبندي: الرابطة هي من أعظم أسباب الوصول بعد التمسك التام بالكتاب العزيز وسنة الرسول ﷺ[١].

وقال الشيخ محمد أمين الكردي النقشبندي:

رابطة الشيخ: هي مقابلة قلب المريد بقلب شيخه، وحفظ صورته في الخيال، ولو في غيبته، وملاحظة أن قلب الشيخ كالميزان، ينزل الفيض من بحره المحيط إلى قلب المريد المرابط، واستمداد البركة منه، لأنه الواسطة إلى التوسل، ولا يخفى ما في ذلك من الآيات والأحاديث.

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[٣].

وقال ﷺ: «المرء مع من أحب»[٤].

وقال العارفون: كن مع الله، فإن لم تستطع فكن مع من كان مع الله.

وقال الشيخ عبد الله الأحرار: إن الكينونة مع الصادقين المأمور بها في كلام رب العالمين على قسمين: كون بحسب الصورة وهي مجالستهم حتى تنطبع فيه صفاتهم، وكون بحسب المعنى. ثم فسر الكينونة بمعنى الرابطة[٥].

---

(١) الرسالة الخالدة في الطريقة النقشبندية (٢٥).

(٢) [سورة المائدة، الآية: ٣٥].

(٣) [سورة التوبة، الآية: ١١٩].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٨١٧) ومسلم (٢٦٤٠).

(٥) تنوير القلوب (٥١٧).

وروي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خدرت رجله، فقيل له: اذكر أحب الناس إليك يزل منك، فصاح: (يا محمداه) فانتشرت[1].

ومن الصور الواضحة لمصداقية الرابطة الشريفة الطاهرة، ما حصل مع سيدنا بلال الحبشي عند سكرات الموت، عندما كانت تقول له امرأته: واكرباه، واحزناه، وهو يقول: وافرحتاه، واطرباه، غدًا ألقى الأحبة محمدًا وصحبه.

فهل نقول أن سيدنا بلالًا أشرك لأنه نسي الله في هذا المقام؟ إنه لشيء عجاب!!

وهل إذا تذكر الإنسان في صلاته أمور الدنيا أشرك أيضًا؟ فلماذا بعد هذا كله تقولون إذا تذكر الشيخ وهو يذكر الله فقد أشرك؟ لذلك لا بد أن نميز بين الشرك والحب (الرابطة الشريفة).

ورحم الله القائل: من قل علمه كثر اعتراضه، ومن كثر علمه قل اعتراضه.

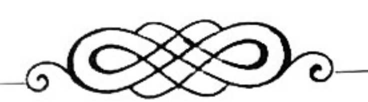
وأقول: إن المريد عندما تهجم عليه الوساوس النفسية والشيطانية والدنيوية يتذكر وعظ الشيخ وإرشاداته حتى يطرد تلك الوساوس بنور أسرار شيخه فإذا ذهبت عنه الوساوس رجع يذكر الله وهو مع الله لا غير.

- **الرداء**: بكسر الراء، هو ظهور صفات الحق على العبد.
- **الرعاية**:

في اللغة من رعي: وهي المراقبة والحفظ.

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٩٦٤).



قال تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾(١).

الرعاية على ثلاثة مقامات:

رعاية الظاهر بالعلم، ورعاية الباطن بالمشاهدة، ورعاية الحق بالمراقبة.

فرعاية الظاهر بالعلم تحقيق صدق الإرادة.

ورعاية الباطن بالمشاهدة تحقيق صفاء التوحيد.

ورعاية الحق بالمراقبة كيفية المعرفة بالحق.

فآفة رعاية الظاهر بالعلم القصد إلى الحق مع عدم قطع علائق الدنيا.

وآفة رعاية الباطن بالمشاهدة القصد إلى الحق برؤية النفس.

وآفة رعاية الحق بالمراقبة الغفلة عن أمر الحق وزجره، ومطالبته بإلهام.

قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه:

من أقبل على الخلق قبل خمود نار بشريته سقط من عين رعاية الله.

وقال سيدي أحمد الرفاعي رضي الله عنه:

من لم يحسن رعاية نفسه أسرع به هواه إلى الهلاك(٢).

وقال الشيخ أحمد بن خضرويه رحمه الله تعالى: أفضل الأعمال رعاية السر عن الالتفات إلى شيء غير الله. ويقصد عدم الغفلة وعدم الالتفات لغير الله عز وجل.

---

(١) [سورة الحديد، الآية: ٢٧].

(٢) الطبقات الكبرى (٢/ ٢٢٢).

• الرعونة: الوقوف مع حظوظ النفس ومقتضى طباعها.

والرُّعونة: الوقوف مع الطبع.

• الرغبة: رغبة النفس في الثواب، ورغبة القلب في الحقيقة، ورغبة السر في الحق.

• الرهبة: رهبة الظاهر لتحقيق الوعيد، ورهبة الباطن لتقلب العلم، ورهبة التحقيق أمر السبق.

• الروح: هي لطيفة مودعة في هذا القلب وهي محل الأخلاق المحمودة.

• الرؤية: المشاهدة بالبصر لا بالبصيرة.

• الرياضة:

عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية، وقيل: منع النفس من الالتفات إلى ما سوى الحق.

وقال ابن عربي: عليك بالرياضة قبل الخلوة، والرياضة: عبارة عن تهذيب الأخلاق وترك الرعونة وتحمل الأذى.

رياضة الأدب: هي الخروج عن طبع النَّفْس[١].

وآفة رياضة الأدب حب النفس والشهوة.

---

(١) التعريفات (١٨٣).

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: المقصود من التصوف تصفية القلب وخلع هوى النفس من أصلها بالخلوة والرياضة والصمت وملازمة الذكر[١].

وقال القاشاني: الرياضة هي إجبار النفس على التوجه إلى الله تعالى، ليصير الانقطاع عما دونه ـ أي الدنيا والخلق ـ[٢].

- **الزاجر**: واعظ الحق في قلب المؤمن، يزجره عن الاشتغال بالغير، وهو الداعي إلى الحق ويذكره بأحكام المواثيق.

الزاجر: واعظ الله في قلب المؤمن، وهو النور المقذوف فيه الداعي له إلى الحق.

- **الزمردة**: النفس الكلية.

- **الزهد**:

في اللغة: ترك الميل إلى الشيء، والزهد: ضد الرغبة.

وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هو بغض الدنيا والإعراض عنها.

وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلبًا لراحة الآخرة.

وقيل: هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك[٣].

---

(١) سر الأسرار (١٠٢).
(٢) لطائف الإعلام (٢٣٧).
(٣) التعريفات (١٨٤).

الزاهد: هو المعرض عن متاع الدنيا ولذاتها.

والزهد في الدنيا سبب الهجوم على الحقيقة، وآفة الزهد في الدنيا محبتها.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب.

وقال الفضيل: أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل.

وقال السري السقطي: الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا، أي لا يفرح بشيء منها ولا يحزن على فقده[١].

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: من أراد الآخرة فعليه بالزهد في الدنيا، ومن أراد الله فعليه بالزهد في الآخرة، فيترك دنياه لآخرته وآخرته لربه[٢].

وقال الحارث المحاسبي: الزهد في ثلاثة أشياء، لا يسمى زاهدًا إلا بها: خلع الأيدي من الأملاك، ونزاهة النفس عن الحلال، والسهو عن الدنيا بكثرة الأوقات[٣].

وقال الإمام الغزالي: حقيقة الدنيا هي عزوف النفس عنها مع القدرة عليها[٤].

• الزوائد: زيادة الإيمان بالغيب واليقين.

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ٢٩٢).
(٢) فتوح الغيب، المقالة (٥٤).
(٣) رسالة المسترشدين (٩٠).
(٤) الأربعون في أصول الدين (١٥٤).



• **السابقة**: هي العناية الأزليّة المشار إليها في التنزيل بقوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾(١).

• **السالك**: هو من ترقى في إرادته بالسلوك عن المقامات، ولم يصل بعد إلى مقام المعرفة.

فمرتبته المريد، ودون العارف، ولا يطلق السالك عند الطائفة إلا على من مشى على المقامات بحاله لا بعلمه، فكان العلم له عينًا(٢).

والسالك: هو السائر إلى الله، المتوسّط بين المريد والمنتهي ما دام في السير.

• **السبحة**: الهباء، المسمى بالهيلوى.

• **الستر**: يكون الوقوف مع العادة، وقد يكون الوقوف مع نتائج الأعمال.
وقيل: كل ما يسترك عما يفنيك.

• **الستر والتجلي**:

العوام في غطاء الستر والخواص في دوام التجلي، قال ﷺ: «إن الله إذا تجلى لشيء خشع له». (رواه أحمد في مسنده [٤/ ٢٦٧]، والنسائي في السنن الكبرى [١/ ٥٧٦]).

فصاحب الستر بوصف شهوده، وصاحب التجلي أبدًا بنعت خشوعه،

---

(١) [سورة يونس، الآية ٢]
(٢) لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (٢٤٢).

والستر للعوام عقوبة وللخواص رحمة إذ لولا أنه يستر عليهم ما يكاشفهم به لتلاشوا عند سلطان الحقيقة ولكنه كما يظهر لهم يستر عليهم.

- سجود القلب: هو فناؤه في الحق عند شهوده إياه بحيث لا يشغله ولا يصرفه عنه استعمال الجوارح.

- السحق: ذهاب تركيب العبد تحت القهر عند عظمة سلطان الحقيقة.

- السر: لغة: ما يُكتم، وجوف كل شيء ولبه.

والجمع أسرار وسرار.

والسر: ما يسره المرء في نفسه من الأمور التي عزم عليها، وأما الإخفاء فهو الذي لم يبلغ حد العزيمة.

والسر خالص الشيء[1].

والسر في اصطلاح الصوفية: ما أخفي عن الخلق ولم يعلم به إلا الحق، فلم يطلعهم عليه.

وسر السر ما لا يحس به السر[2].

والسر على ثلاثة مقامات:

سر العلم وسر الحال وسر الحقيقة.

---

(١) الكليات (٥١٤).

(٢) عبارات الصوفية (٥٠).

سر العلم هو سر الخصوصية بالله تعالى.

وسر الحال هو معرفة الله تعالى في الحال من الله تعالى، أي الفهم عن الله عز وجل.

وسر الحقيقة وهو ما وقعت به الإشارة[١].

ولذلك يقولون عن الأولياء والصالحين: قدَّس الله أسرارهم.

وأقول: قدس الله أسرارهم: أي طهَّر ونزَّه الله أنوار الإخلاص والأعمال الصالحة التي بينهم وبين الله تعالى، وهذا كله من باب (لنا الظاهر والله يتولى السرائر) أي نحسن الظن بهم، نحسبهم كذلك والله حسيبهم، ولا نزكي على الله أحدًا.

وقيل: السر هو لطيفة مودعة في القالب، كالأرواح وأصولها تقتضي أنها محل المشاهدة، كما أن الأرواح محل للمحبة، والقلوب محل للمعارف.

وقالوا: السر مالك عليه إشراف.

وسر السر: ما لا اطلاع عليه لغير الحق[٢].

وقالوا: السر ألطف من الروح، والروح أشرف من القلب.

ويطلق لفظ السر على ما يكون مصونًا مكتومًا بين العبد والحق سبحانه في الأحوال[٣]، ومن هنا يقولون: قدس الله سره.

---

(١) أبواب التصوف (٢٧١).

(٢) لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (٢٤٥).

(٣) الرسالة القشيرية (١٦٥).

ويقولون: صدور الأحرار قبور الأسرار.

والسر: لطيفة مودعة في القالب كالأرواح وأصولها تقتضي أنها محل المشاهدة، كما أن الأرواح محل المحبة، والقلوب محل للمعارف.

• **السفر**:

هو توجّه القلب إلى الحق.

السفر: هو عبارة عن القلب إذا أخذ في التوجه إلى الحق تعالى بالذكر.

• **السكون**:

لغة: المقابل للحركة وعكس الاضطراب، وسكن وسكنت إليه من محبوب، والسكون أعمُّ من الثبات[١].

السكون على ثلاثة مقامات:

سكون الطبع لأهل العقل والتميز، وسكون العافية لأهل السلامة من الإشارات الغيبية، وسكون الحقيقة لأهل المعرفة من البالغين.

وقيل: سكون الواصلين بسبب التجلي وكونهم أصحاب تمكين لا أصحاب تلوين، ووجودهم في الحضرة يتطلب منهم أدب الحضرة الذي هو السكون والذبول تحت الواردات[٢].

---

(١) الكليات (٣٧٧).

(٢) أبواب التصوف (٢٣٩).

وقال عمر السهروردي: صفات الظاهر الحركة والسكون، وصفات الباطن الأحوال والأخلاق[١].

• **السكينة**: ما تجده في الطمأنينة عند نزول الغيب.

• **السكينة والوقار**:

السكينة: ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب، وهي نور في القلب يسكن إلى شاهده ويطمئن وهو مبادئ عين اليقين.

والوَقَار: التأني في التوجه نحو المطلوب.

قال الجرجاني: الوقار هو التأني في الهيئة وغض البصر.

• **السماع**:

قال الصوفية: السماع: هو الإصغاء والاستماع بحضور القلب وإدراك الفهم وإزالة الوهم.

وقالوا بجواز إنشاد الشعر كما أنشد كعب بن زهير بين يدي الرسول ﷺ:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

وقال الكلاباذي:

استجمام من تعب الوقت وتنفس لأرباب الأحوال واستحضار الأسرار لذوي الأشغال[٢].

---

(١) عوارف المعارف (١٨٤).

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف (١٢٠).

وقال أبو عثمان الحيري: السماع للمريدين لاستدعاء الأحوال الشريفة، وللصادقين لطلب الزيادة في أحوالهم[١].

وأصل السماع لديهم على حسب ما يقرُّ في القلوب، والقلوب على قدر أحوالهم[٢].

وقال الإمام الغزالي: النصوص التي وردت في السماع والدف تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب، والنظر إلى رقص الحبشة والزنوج في أوقات السرور، كان قياسًا على يوم العيد فإنه وقت سرور[٣].

وقال العز بن عبد السلام: وأما سماع الإنشاد المحرك للأحوال السنية المذكر للأمور الأخروية فلا بأس به، بل يندب عند الفتور وسآمة القلب ولا يحظر إلا على من في قلبه هوى خبيث، فإنه يحرك ما في القلب[٤].

وثبت عن العز بن عبد السلام أنه كان يتحرك في السماع[٥].

وقال ﷺ: «ما بعث الله نبيًا إلا حسن الصوت»[٦].

وزاد الترمذي: وكان نبيكم حسن الوجه حسن الصوت.

---

(١) الرسالة القشيرية (٥٠٨).

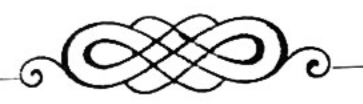
(٢) أبواب التصوف (٢٢٩).

(٣) إحياء علوم الدين (٢/ ٣٨٨).

(٤) الزواجر (٢/ ٢٧٣).

(٥) الزواجر (٢/ ٢٨٢).

(٦) أخرجه الترمذي في الشمائل (٣٣٨٣).



وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: كان أصحاب رسول الله ﷺ يتناشدون عنده الشعر وهو يبتسم[١].

قال الله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾[٢]

قال ابن كثير نقلًا عن الإمام الزهري وابن جريج يعني حسن الصوت[٣].

وقال القرطبي في تفسير الآية: إنه حسن الصوت[٤].

وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: أنشدت رسول الله ﷺ مئة قافية من قول أمية بن أبي الصلت، كل ذلك يقول: (هيه هيه) ثم قال: «إن كاد في شعره ليسلم»[٥].

- **السمسمة**: معرفة تدق عن العبارة.
- **الشائبة**: هي عبارة عن بقاء حظ العبد في أي عمل ينسبه لنفسه.
- **الشاهد**: هو حقيقة ما يضبط القلب من صورة المشهود.
- **الشجرة**: الإنسان الكامل.
- **الشريعة والطريقة والحقيقة**:

الشريعة: هي الأمر بالتزام العبودية.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٨٥٠) وقال: حديث حسن صحيح.
(٢) [سورة فاطر، الآية: ١].
(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٥٦٧).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٣٢٠).
(٥) رواه مسلم (٢٢٥٥).

والحقيقة: هي مشاهدة أسرار الربوبية.

فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فهي غير مقبولة، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فهي غير مقبولة أيضًا.

فالشريعة جاءت بتكاليف الخَلْق، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق.

وقال أبو علي الدقاق:

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: حفظ للشريعة.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: إقرار بالحقيقة.

واعلم أن الشريعة حقيقة من حيث إنها وجبت بأمره، والحقيقة شريعة من حيث إن المعارف به سبحانه أيضًا وجبت بأمره[١].

الشريعة: اسم لمجموع الأحكام التكليفية وهي تحيط بالأعمال الظاهرة والباطنة جميعًا.

قال الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه: الشريعة هي الطريقة والطريقة هي الشريعة والاختلاف بينهما لفظي.

وقال الفقيه ابن عابدين رضي الله عنه: الطريقة: هي السيرة المختصة بالسالكين من قطع المنازل، والترقي في المقامات، والحقيقة هي مشاهدة الربوبية في القلب، ويقال: هي سر معنوي لا حد له ولا جهة[٢].

---

(١) الرسالة القشيرية (١٥٩).

(٢) حاشية ابن عابدين (٣٠٣).

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه: كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة، طر إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة، ادخل عليه ويدك في يد الرسول ﷺ(١).

ما الفرق بين العمل في الشريعة والطريقة والحقيقة؟ وما هي مواضيعها؟ وكيف إصلاحها؟

العمل في الشريعة: هي أن تعبد الله عز وجل، وموضوعها: إصلاح الظواهر (الجوارح) ويكون إصلاح الجوارح بثلاثة أمور: بالتوبة، والتقوى، والاستقامة.

والعمل في الطريقة: أن يقصد في عبادته الله عز وجل، وموضوعها: إصلاح الضمائر (القلوب) ويكون إصلاح القلوب بثلاثة أمور: بالإخلاص، والصدق، والطمأنينة.

والعمل في الحقيقة: أن تشهد الله عز وجل دائمًا، وموضوعها: إصلاح السرائر (الروح)، وإصلاح السرائر يكون بثلاثة أمور: بالمراقبة، والمشاهدة، والمعرفة.

فالصوفية يهتمون بتطبيق الشريعة، أمرًا ونهيًا (بالجوارح)، ثم يهتمون بتصفية القلوب والأرواح.

• **الشطح:**

هو عبارة عن كلمات تصدر من بعض الصوفية غير الكُمَّل في حالة

---

(١) للتوسع: انظر: الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية، باب الطريقة والحقيقة.

الغيبوبة وغلبة شهود الله تعالى عليهم بحيث لا يشعرون حينئذ بغير الحق، وهذه الكلمات لو صدرت عنه وعقله معه لأنكرها، وهذه الحالة غير محمودة عند الصوفيين ولكن صاحبها معذور في ذلك لذهوله وعدم انضباط فكره حينئذ، ولكن كما أنه لا جناح عليه بسبب هذا العذر فلا يجوز الاقتداء به لمن كان في حالة صحو، ولا حمل كلامه وأفعاله على الصحة، بل ينظر إلى ذلك على أنه شطحات يعفى عنها لأهل الأحوال والمواجيد الصحيحة كما حصل مع الرجل الذي أضل راحلته في الصحراء، وعليها طعامه وشرابه ومتاعه وعندما وجدها أصابه حال سرور فأخطأ من شدة فرحه فقال: «اللهم أنت عبدي وأنا ربك»[1].

فهذا قد فرح براحلته فكيف بالذي يفرح بالله، وهذه العبارة وغيرها مما يصدر عن الذي خرجت عنه بغير صحو، ويؤاخذ بها كل من رددها أو أيدها عقلًا ممن لم يكن في مثل ذلك الحال، وإلى هذا يشير الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه إذ يقول: وهذه الكلمات ومثلها من الشطحات التي تتجاوز حد التحدث بالنعمة مَثَل صاحبها: كمثل رجل نام في بيت الخلاء فرأى في منامه أن جلس على سرير سلطنة فلما استيقظ خجل وعرف مكانه: الله الله بالوقوف عند الحدود، عضوا على سنة السيد العظيم ﷺ بالنواجذ.

مالي وألفاظ زيد ... ووهم عمرٍ وبكر
وجه الشريعة أهدى ... من سر ذاك وسر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٩٢) ومسلم (٢٧٤٨).

• **شواهد الحق**: هي حقائق الأكوان، فإنها تشهد بالمكوّن.

• **الشوق**:

لغة: تعلق الشيء بالشيء وهو نزاع النفس إلى الشيء[١].

واصطلاحًا: نزاع القلب إلى لقاء المحبوب[٢].

وقيل: تعطش القلوب إلى لقاء المحبوب.

وقال القشيري: الشوق: هو توهج القلب إلى لقاء الرب[٣].

وقال أبو علي الدقاق: الشوق والاشتياق:

الشوق: يسكن باللقاء، والرؤية، والاشتياق: لا يزول باللقاء.

وقال الخراز: من اشتاق إلى الملك الخلاق جل جلاله عن ولوع الاحتراق من خوف الفراق رجاء التلاق على بساط السباق فهو المشتاق[٤].

أي: من زاد شوقه إلى لقاء ربه سبحانه وتعالى من نيران الشوق في قلبه وخوفه من الفراق عليه أن يتسابق في مجاهداته وسلوكه ليصل إلى التلاق[٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥٢١).
(٢) التعريفات (٧٤).
(٣) منثور الخطاب (٦٨).
(٤) الحقائق (٤٨).
(٥) أبواب التصوف (٢٢٤).

• الشيخ:

هو الإنسان الكامل في العلوم الشرعية والطريقة والحقيقة، البالغ إلى حد التكميل فيها، لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها ومعرفة بذواتها، وهو الذي سلك طريق الحق وعرف المخاوف والمهالك، فيرشد المريد ويشير إلى ما ينفعه وما يضره.

وهو الذي يقرر الدين والشريعة في قلوب المريدين والطالبين، وهو الذي يحبب عباد الله إلى الله، ويحبب الله إلى عباده.

• الصحو والسُّكر:

الصحو: رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة.

والسكر: غيبة بوارد قوي.

والسكر زيادة على الغيبة من وجه، وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطًا في حالة سكره، فصاحب الغيبة أتم من صاحب السكر، وصاحب السكر أشد غيبة من صاحب الغيبة إذا قوي سكره[1].

والغيبة قد تكون للعباد بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرهبة، ومقتضيات الخوف والرجاء، والسكر: لا يكون إلا لأصحاب المواجيد.

فإذا كوشف العبد بنعمة الجمال حصل السكر، وطربت الروح، وهام القلب.

(١) الرسالة القشيرية (١٤٧).

واعلم أن الصحو على حسب السكر فمن سكره بحق، كان صحوه بحق.

والعبد في حال سكره بشاهد الحال، وفي حال صحوه بشاهد العلم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾(١).

سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام مع رسالته وجلالة قدره خرَّ صعقًا، والجبل مع صلابته، وقوته، صار دكًا متكسرًا(٢).

• الصِّدِّيق:

هو المبالغ في الصدق، وهو الذي كمل في تصديق كل ما جاءت به رسل الله علمًا وقولًا وفعلًا، لصفاء باطنه، وقربه لباطن النبيّ عليه السلام لشدّة مناسبته، ولهذا لم يتخلّل في كتاب الله تعالى مرتبة بينهما في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٣).

• الصَّعق: هو الفناء في الحق بالتجلي الذاتي.

الصَّعْق: الفناء عند التجلي الرباني.

• الصفوة: هم المتحققون بالصفاء عن كدر الغيرية.

• الصوفي:

قال الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه:

---

(١) [سورة الأعراف، الآية: ١٤٣].

(٢) الرسالة القشيرية (١٤٨).

(٣)[سورة النساء، الآية: ٦٩].

الصوفي من صفا سرُّه من كدورات الأكوان، وما رأى لنفسه على غيره مزية[١].

وقال أيضًا: الصوفي لا يسلك غير طريق الرسول المكرم ﷺ، فلا يجعل حركاته وسكناته إلا مبنية عليه.

وقال الإمام بهاء الدين الرواس رضي الله عنه: الصوفي التقي: الذي لا يريد فسادًا في الأرض ولا علوًا من رؤية أبيه وجده وطوره ومقامه.

وقال: الصُّوفي يدور مع الحق أين كان ولا ينحرف عنه[٢].

وقال الشيخ بشر بن الحارث رضي الله عنه: الصوفي: من صفا قلبه لله.

وقال الشيخ سهل التستري رضي الله عنه: الصوفي: من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر[٣].

الصوفي: من كان صافيًا من آفات النفس خاليًا من مذموماتها[٤].

وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله تعالى: الصوفي هو الذي يتقرب إلى الله، بفروض الله، ثم يزيدها بسنة الرسول ﷺ، وأن يكون عنده صفاء، فيكون صافيًا لله[٥].

---

(١) البرهان المؤيد (٦٩).

(٢) بوارق الحقائق (٣١٥).

(٣) المَدَر: قطع الطين اليابس، وقيل: الطين العلك الذي لا رمل فيه (لسان العرب - مادة مدر).

(٤) التصوف منشؤه ومصطلحاته (٣٢).

(٥) أصول الوصول (٣٢٧) بتصرف يسير.



- الضياء: رؤية الأشياء بعين الحق عين الحق.
- الطالع: أول ما يبدو من تجليات الأسماء الإلهية على باطن العبد: فيحسن أخلاقه وصفاته بتنوير باطنه.
- الطاهر: من عصمه الله عن المخالفات.
- طاهر الظاهر: من عصمه الله عن المعاصي.
- طاهر الباطن: من عصمه الله عن الوساوس والهواجس والتعلق بالأغيار.
- طاهر السر: من لا يذهل عن الله طرفة عين.
- طاهر السر والعلانية: من قام بتوفية حقوق الخلق والحق جميعًا لسعته برعاية الجانبين.
- الطريقة: هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله من قطع المنازل والترقي في المقامات.
- الطمأنينة:

لغة: السكينة والسكون[١].

وفي الشرع: الطمأنينة: مقدار التسبيحة في أركان الصلاة[٢].

والطمأنينة على ثلاثة مقامات:

طمأنينة النفس في رؤية الثواب.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥٩٩).
(٢) الكليات (٥٨٥).

وطمأنينة القلب في وجود التذكار.

وطمأنينة السر في تحقيق الإشارات[١].

وفي القرآن الكريم: الطمأنينة: السكون، اليقين والزيادة فيه، المعرفة بالله، ذكر الله، الاطمئنان بالله.

قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[٣]

قال السلمي في تفسيره لهذه الآية: قال ابن عطاء: المطمئنة هي العارفة بالله التي لا تصبر عن الله طرفة عين[٤].

• الطوالع: هي أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة فتطمس سائر الأنوار. تبقى لمدة طويلة، تذهب الظلمة وتنفي الشك والشبهة.

أو هي المواجيد التي تهجم على القلب، وكذلك تبقى لوقت طويل، تذهب الظلمة وتنفي التهمة.

• الظِل: وجود الراحة خلف الحجاب.

• الظُلمة: العلم بالذات.

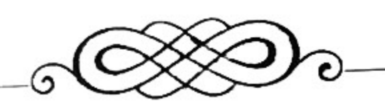
---

(١) أبواب التصوف (٢٤٣).

(٢) [سورة الرعد، الآية: ٢٨].

(٣) [سورة الفجر، الآيتان: ٢٧- ٢٨].

(٤) تفسير القرآن للقشيري (١/ ١٢١).



- **العارف**: من أشهده الله ذاته وصفاته وأسماءه وأفعاله فالمعرفة حال تحدث عن شهوده.

- **عالم الأمر**: عالم الملكوت وهو عالم الغيب.

- **عالم الخلق**: عالم الشهادة وهو عالم المُلك.

- **عالم الرؤيا**: لغة: الحُلْم والحُلُم: الرؤيا، والجمع أحلام.

قال رسول الله ﷺ: «من تحلَّم ما لم يحلم كلف أن يعقد بين شعيرتين»[(١)].

أي: قال: إنه رأى في النوم ما لم يره، وتكلف إذا ادعى الرؤيا كذبًا.

والحُلُم: الاحتلام أيضًا، يجمع على أحلام.

الرؤيا في الاصطلاح: ما يراه النائم في منامه من الخير والشيء الحسن، والحُلُم: ما يراه من الشر والقبيح.

قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا الصادقة من الله، والحلم من الشيطان»[(٢)].

وإضافة الرؤيا إلى الله للتشريف، فالتي تضاف إلى الله لا يقال لها حلم، والتي تضاف للشيطان لا يقال لها رؤيا، وهو تصرف شرعي، وإلا فالكل يسمى رؤيا[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧٠٤٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦٩٨٤) ومسلم (٢٢٦١).

(٣) شرح السنة (١٢/ ٢٠٧)، وفتح الباري (١٢/ ٣٦٩).



أقسام الرؤيا من حيث المصدر:

تنقسم الرؤيا من حيث المصدر إلى ثلاثة أقسام:

رؤيا من الله عز وجل.

رؤيا من الشيطان.

رؤيا مما يُحدِّث به المرء نفسه.

قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا ثلاثة: فرؤيا صالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزن من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه»(١).

وقال ﷺ: «أصدق الرؤيا بالأسحار»(٢).

وقال الله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾(٣).

قيل: هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن.

ورد مرفوعًا عن أبي الدرداء قال: سألت النبي ﷺ عن هذه الآية ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قال: «ما سألني عنها أحد قبلك، هي الرؤيا الحسنة، يراها المرء أو ترى له»(٤).

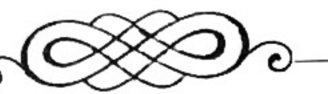
---

(١) رواه مسلم (٢٢٦٣).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٢٧٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٩٢) وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان في صحيحه (٦٠٠٩).

(٣) [سورة يونس، الآية: ٦٤].

(٤) رواه الترمذي (٢٢٧٤).



وقالت عائشة رضي الله عنها: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾[(١)].

أي علم الرؤيا.

فلقد رأى سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام وهو فتى رؤيا، أن أحد عشر كوكبًا رآهم قد سجدوا له مع الشمس والقمر، ورأى ملك مصر رؤيا لم يعبرها إلا (يوسف عليه الصلاة والسلام) وقد تحقق كل ذلك وجاء مطابقًا للتعبير.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ﴾[(٢)].

والرؤيا نوع من الكرامات فلقد رأت السيدة صفية رضي الله عنها عمة رسول الله ﷺ قبيل معركة بدر رؤيا، وفيها أن صارخًا على جبل أبي قبيس صرخ ثلاث مرات، ثم أرسل صخرة عظيمة، فتفتّتت، ودخلت هذه الأجزاء بيوتات قريش.

وذلك كان في معركة بدر فما من بيت في مكة إلا وكان به صارخ من قتيل أو مصاب.

ومن الكرامات رؤيا النبي ﷺ:

قال عليه الصلاة والسلام: «من رآني في النوم فقد رآني، فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي»[(٣)].

---

(١) [سورة يوسف، الآية: ٦].

(٢) [سورة يوسف، الآية: ٤٣].

(٣) رواه مسلم (١٧٧٦)، وابن ماجه في سننه (٣٩٠٢).

وقال ﷺ: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي»[١].

قال ابن بطال: قوله «فسيراني في اليقظة» يريد تصديق تلك الرؤيا في اليقظة، وصحتها وخروجها على الحق، وليس المراد أنه يراه في الآخرة لأنه سيراه يوم القيامة ويراه جميع أمته من رآه في النوم، ومن لم يره منهم.

وقال ابن حجر: والحاصل من الأجوبة ستة:

أحدها: أنه على التشبيه والتمثيل ودل عليه قوله في الرواية الأخرى: «فكأنما في اليقظة».

ثانيها: أن معناها سيرى في اليقظة تأويلها بطريق الحقيقة أو التعبير.

ثالثها: أنه خاص بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه.

رابعها: أن يراه في المرآة التي كانت له إن أمكنه ذلك، وهذا من أبعد المحامل.

خامسها: أن يراه يوم القيامة بمزيد خصوصية لا مطلق من يراه حينئذ ممن لم يره في المنام.

سادسها: أنه يراه في الدنيا حقيقة ويخاطبه[٢].

وقال النووي: الصحيح أن يراه حقيقة سواء كان على صفته المعروفة أو غيرها[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٩٩٣) ومسلم (١٧٧٥).
(٢) فتح الباري (١٢/ ٣٨٥).
(٣) شرح النووي على مسلم (١٥/ ٢٤- ٢٥).

وأما رؤية الباري عز وجل في المنام:

فقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: جوَّز أهل التعبير رؤية الباري عز وجل في المنام مطلقًا.

وقال أبو القاسم القشيري ما حاصله: إن رؤياه على غير صفته لا تستلزم إلا أن يكون هو، فإنه لو رأى الله على وصف يتعالى عنه، وهو يعتقد أنه منزه عن ذلك، لا يقدح في رؤيته، بل يكون لتلك الرؤيا ضرب من التأويل، كما قال الواسطي: من رأى ربه على صورة شيخ كان إشارة إلى وقار الرائي، وغير ذلك[1].

وقال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: رؤية الله في المنام جائزة، وتكون رؤيته جلت قدرته ظهور العدل، والفَرَج، والخصب، والخير لأهل ذلك الموضع، فإن رآه فوعد له جنة أو مغفرة، أو نجاة من النار، فقوله حق، ووعده صدق[2].

ورحم الله القائل: خذ المعنى واترك المبنى.

• **عالم الملك والملكوت:**

عالم الملك: هو عالم الشهادة.

عالم الملكوت: هو عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس[3].

---

(١) الرؤى والأحلام لابن حجر العسقلاني (٨٩- ٩١).

(٢) شرح السنة (١٢/ ٢٢٧- ٢٢٨).

(٣) التعريفات (٣١٦- ٣١٧).

- العبادة : للعوام من المؤمنين، لمن له علم اليقين، لأصحاب المجاهدات، وهي للجسد.
- العبودة :

لمن له حق اليقين، وهي لخواص الخواص، لأهل المشاهدات، وهي للروح.

- العبودية : لأرباب المكابدات، وهي للخواص، لمن له عين اليقين، وهي للقلب.
- العقاب : القلم، وهو العقل الأول.
- العلة :

هي تنبيه الحق عبده بسبب، كسماع إبراهيم بن أدهم النداء من قربوس سرجه، أو بغير سبب ظاهر كتجلي الحق له فجأة من غير اجتلاب منه.

وإنما سميت التنبيهات الإلهية علة لأنها تورث الألم على فوات ما تعين له من الحق من المواهب الجزيلة قبل تنبهه.

- العيد :

ما يعود على القلب من التجليات بإعادة الأعمال المزكية للنفس المصفية للقلب إذا كانت التجليات موقوفة على العمل، وإن كانت من باب الامتنان فعودها كأصلها لا يتوقف عليه.

الغراب : الجسم الكلي.

• الغربة:

لغة: البعد عن الأوطان[١]، وفي الكليات: الغريب: كل شيء فيما بين جنسه عديم النظر فهو غريب[٢].

واصطلاحًا عند الصوفية: هي ترك المألوفات ومغادرة العادات والانقطاع والعزلة.

والغربة على ثلاثة مقامات:

غربة عن الأوطان من أول حقيقة القصد.

وغربة عن الأحوال من حقيقة الانفراد بالأحوال.

وغربة عن الحق من حقيقة الدهشة في المعرفة[٣].

وقال الكلاباذي عن سبب تسمية الصوفية بالغرباء:

فلخروجهم عن الأوطان سموا غرباء[٤]، أي لأنهم تركوا أوطانهم.

وأسباب غربة الصوفي عن وطنه كثيرة منها:

الرياضة والسياحة، ومنها سكن مناطق العزلة مثل البراري، ومنها البحث عن الشيخ المرشد النقي الذي يأخذ بيده.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٧٨٦).
(٢) الكليات (٦٦٣).
(٣) أبواب التصوف (٣٠٢).
(٤) التعرف لمذهب أهل التصوف (١٣).

وفي الوطن الثاني الذي استقر فيه يدعى غريبًا[١].

- الغشاوة: ما يكون على عين البصيرة من الصدأ.
- الغوث: هو القطب حين يُلتجأ إليه، ولا يسمى في غير الوقت غوثًا، وسمي غوثًا لأنه يستغيث بالله ويدعو للأمة.
- الغيب: كل ما ستره الحق عنك.
- الغيبة والحضور:

الغَيبة: غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخَلْق، لاشتغال الحس بما ورد عليه، ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه وغيره، بوارد من تذكر ثواب، أو تفكر في عقاب.

وروي عن سيدنا علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه كان في سجوده فوقع حريق في داره، فلم ينصرف عن صلاته فسئل عن حاله، فقال: ألهتني النار الكبرى عن هذه النار.

وأما الحضور: فقد يكون حاضرًا بالحق، لأنه إذا غاب عن الخَلْق حضر الحق، وذلك لاستيلاء ذكر الحق على قلبه، فهو حاضر بقلبه بين يدي ربه عز وجل، فعلى حسب غَيْبته عن الخلق يكون حضوره بالحق، فإن غاب بالكلية كان الحضور على حسب الغَيبة.

---

(١) أبواب التصوف (٣٠٣).

فإن قيل: فلان حاضر فمعناه أنه حاضر بقلبه لربه، غير غافل عنه، ولا ساه، مستديم لذكره[١].

ومن أمثلة الغَيبة:

وقعت سارية جامع الكوفة حتى انهدت لها جوانب السوق، وأقبل الناس يهرعون إلى الجامع.

وكان أبو حنيفة رضي الله عنه قائمًا يصلي إلى جانبها ولم يشعر بذلك[٢].

- **الغين**: هو الحجاب الكثيف بين القلب والإيمان بالحق. وهو ذهول عن الشهود، واحتجاب عنه مع صحة الاعتقاد.
- **الفتح القريب**: هو ما انفتح على العبد من مقام القلب وظهور صفاته وكمالاته عند قطع منازل النفس، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾[٣].
- **الفتح المبين**: هو ما انفتح على العبد من مقام الولاية وتجليات أنوار الأسماء الإلهية المعينة لصفات القلب وكمالاته المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[٤] [الفتح: ١] يعني من الصفات النفسية والقلبية.
- **الفتح المطلق**:

هو تجلّي الذات الأحديّة والاستغراق في عين الجمع بفناء الرسوم الخلقية

(١) الرسالة القشيرية (١٤٦- ١٤٧).
(٢) لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (٣٤٠).
(٣)[سورة الصف، الآية: ١٣]
(٤)[سورة الفتح، الآية: ١].

كلّها، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[1].

- الفترة: خمود حرارة الطلب اللازمة للبداية.

والفترة: جمود نار البداية المحرقة.

- الفتوة:

عبارة عن مجموعة الفضائل يتحلى بها الصوفي، مثل العفو، والمروءة، والكرم، والشجاعة، والإيثار، والشفقة على الخلق برّهم وفاجرهم.

وغيرها من الفضائل التي تجعله إنسانًا لا خصم له، وهو لا يبغض أحدًا بل يسعى دائمًا وأبدًا لقضاء حاجات الآخرين وإيجاد أعذار للمقصرين.

- الفتوح:

لغة: خلاف الإغلاق.

قال الشريف الجرجاني: الفتوح: عبارة عن حصول شيء مما لم يتوقع ذلك منه[2].

وقال القاشاني: عبد الفتاح هو الذي أعطاه الله علم أسرار المفاتيح على اختلاف أنواعها، ففتح به الخصومات والمغالق والمعضلات والمضايق، وأرسل به فتوحات الرحمة وما أُمسك من النعمة[3].

---

(١) [سورة النصر، الآية: ١].

(٢) التعريفات (٩٤).

(٣) اصطلاحات الصوفية (١١٢).

أنواع الفتوح عند القاشاني الذي هو من مدرسة ابن عربي قال:

فتوح العبارة: أي اللسان وهو في الظاهر ويسمى فتوح العبادة.

فتوح الحلاوة: هو ما يفتح على العبد في باطنه من أنواع العلوم والمعارف وتقريب الحق له، وإن لم يظهر عليه شيء من ذلك.

فتوح المكاشفة: هو ما يفتح على العبد من المكاشفات، والمشاهدة التي لا مدخل لكسبه فيها.

الفتوح المبين: هو ما انفتح على العبد من مقام الولاية وتجليات أنوار الأسماء الإلهية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾(١).

الفتوح المطلق: هو أعلى الفتوحات وأكملها، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾(٢).

الفتوح القريب: هو ما انفتح على العبد من مقام القلب وظهور صفاته وكمالاته عند قطع منازل النفس وهو المشار إليه ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾(٣)(٤).

فالفتوح بمعناه العام:

كل ما يفتح على العبد من الله تعالى بعد ما كان مغلقًا عليه من النِّعم الظاهرة

---

(١) [سورة الفتح، الآية: ١].

(٢) [سورة النصر، الآية: ١].

(٣) [سورة الصف، الآية: ١٣].

(٤) أبواب التصوف (١٦٩- ١٧٠).

والباطنة، كالأرزاق والعبادة والعلوم والمعارف والمكاشفات وغير ذلك.

• الفِرَاسَة:

في اللغة: التثبت والنظر.

وفي اصطلاح القوم (أهل الحقيقة): هي مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب[١].

وقيل: الفراسة: خاطر يهجم على القلب يثب عليه كوثوب الأسد على الفريسة.

وقيل: الفراسة: استئناس حكم وبصيرة قلبية سرية لا عقلية فكرية، فيفترس صاحبها بسره المغيبات الشاردة عن الأفهام بديهة لا بالنظر والاستدلال[٢].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[٣] قال مجاهد: للمتفرسين.

وقال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ وهو تعريض الخطاب وفحوى الكلام ومغزاه[٤].

وقال ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[٥].

والفراسة: هي نور يقذفه الله في قلب عبده يفرق به بين الحق والباطل.

---

(١) التعريفات (٢٤٤).
(٢) لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (٣٤٩).
(٣) [سورة الحجر، الآية: ٧٥].
(٤) مدارج السالكين (٦٣٣).
(٥) أخرجه الترمذي في سننه (٣٣٩٢).

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾[١].

والفراسة تكون حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيمانًا فهو أحدّ فراسة.

وقال أبو سعيد الخراز: من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق.

وقال الواسطي: الفراسة سواطع أنوار لمعت في القلوب.

وقال الداراني: الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الإيمان.

وكان الجنيد رحمه الله يومًا يتكلم على الناس، فوقف عليه شاب نصراني متنكرًا، فقال: أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»؟.

فأطرق الجنيد ثم رفع رأسه وقال: أسلم، فقد حان وقت إسلامك، فأسلم الغلام[٢].

ويقال في بعض الكتب القديمة: إن الصديق لا تخطئ فراسته.

وكان سيدنا الصديق رضي الله عنه أعظم الأمة فراسة، وبعده سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووقائع فراسته مشهورة، فإنه ما قال لشيء (أظنه كذا) إلا كان كما قال، ويكفي في فراسته موافقته ربه في المواضع المعروفة.

وكذلك سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كان صادق الفراسة.

---

(١) [سورة الأنفال، الآية: ٢٩].
(٢) مدارج السالكين (٦٣٥).

وروي أن رجلًا دخل على عثمان رضي الله عنه وكان قد رأى في الطريق امرأة وتأمَّل محاسنها، فقال عثمان رضي الله عنه: يدخل عليَّ أحدكم وأثر الزنى ظاهر في عينيه؟! فقال الرجل: أوحي بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: لا، ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة[1].

- **الفصل**: فوت ما ترجوه من محبوبك.
- **الفقير**: يطلق على أفراد الصوفية لفظ فقير، وجمعه فقراء، كقول أحدهم: إذا صح الافتقار إلى الله صح الغنى بالله، لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بالآخر.

وغالب أفراد هذه الطائفة يظهر عليهم الفقر، ولا يسألون أحدًا شيئًا.

قال ﷺ: «لو أقسم على الله لأبره»[2].

- **الفناء والبقاء**: الفناء: هو سقوط الأوصاف الذميمة، كما أن البقاء هو وجود الأوصاف المحمودة، وقيل: البقاء: هو رؤية العبد قيام الله على كل شيء.

والفناء: فناءان، أحدهما: ما ذكرنا وهو بُكرة الرياضة.

والثاني: عدم الإحساس بعالم الملكوت والملك وهو بالاستغراق في عظمة الباري ومشاهدة الحق[3].

---

(١) مدارج السالكين (٦٣٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢٧٠٣) ومسلم (١٦٧٥).

(٣) التعريفات (٢٤٧).

فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة يقال: إنه فني عن شهواته، فإذا فني عن شهواته بقي بنيته وإخلاصه في عبوديته.

ومن زهد في دنياه بقلبه، يقال: فني عن رغبته.

فإذا فني عن رغبته فيها بقي بصدق إنابته.

ومن عالج أخلاقه فني عن قلبه الحسد، والحقد، والبخل، والشح، والغضب، والكِبْر، وأمثال هذا من رعونات النفس، يقال: فني عن سوء الخُلُق، فإذا فني عن سوء الخُلُق بقي بالفتوة والصدق.

فإذا فني عن نفسه وعن الخَلْق، فنفسه موجودة، والخَلْق موجودون، ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق أجمعين، غير مُحِس بنفسه وبالخلق[١].

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾[٢] وهذا هو فناء الوجد[٣].

• القبض والبسط:

وهما حالتان، بعد ترقي العبد عن حالة الخوف والرجاء.

والقبض: يكون لمعنى حاصل في الوقت، وكذلك البسط.

وصاحب القبض والبسط أسير وقته بوارد غلب عليه في عاجله، ثم تتفاوت نعوتهم في القبض والبسط على حسب تفاوتهم في أحوالهم.

---

(١) الرسالة القشيرية (١٤٤).
(٢) [سورة يوسف، الآية: ٣١].
(٣) لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (٣٥٨).

وكذلك المبسوط قد يكون فيه بسط يسع الخلق، فلا يستوحش من أكثر الأشياء، ويكون مبسوطًا لا يؤثر فيه شيء بحال من الأحوال.

ومن أدنى موجبات القبض: أن يرد على قلبه وارد موجبه إشارة إلى عتاب ورمز باستحقاق تأديب، فيحصل في القلب لا محالة قبض.

وقد يكون موجب بعض الواردات إشارة إلى تقريب، أو إقبالًا بنوع لطف وترحيب، فيحصل للقلب بسط.

وفي الجملة: قبض كل أحد على حسب بسطه، وبسطه على حسب قبضه.

وقد يكون قبض يُشْكِل على صاحبه سببه، يجد في قلبه قبضًا لا يدري موجبه ولا سببه، فسبيل صاحب هذا القبض التسليم، حتى يمضي ذلك الوقت، لأنه لو تكلف نفيه، أو استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد في قبضه، ولعله يُعَد ذلك منه: سوء أدب.

وإذا استسلم لحكم الوقت، فعن قريب يزول القبض، فإن الحق سبحانه قال: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾[1].

وقال بعضهم:

فُتِح عليَّ باب من البسط، فزللت زلة، فَحُجِبت عن مقامي.

ولهذا قالوا: قف على البساط وإياك والانبساط.

وقد عَدَّ أهل التحقيق حالتي القبض والبسط من جملة ما استعاذوا منه،

---

(١) [سورة البقرة، الآية: ٢٤٥].

لأنهما بالإضافة إلى ما فوقهما من استهلاك العبد واندراجه في الحقيقة: فقرٌ وضُرٌّ.

وقال الإمام الجنيد رحمه الله تعالى:

الخوف من الله يقبضني، والرجاء منه يبسطني، والحقيقة تجمعني[١].

وصاحب القبض والبسط: أخذ وقته بوارد غلب عليه في عاجله.

والقبض والبسط منزلان من منازل السائرين إلى الله عز وجل.

وذلك أن السائر ما دامت مكاشفاته ومشاهداته ومعايناته مقصورة عليه فهو في قبض.

وإذا انبسطت منه حتى تخطى بها غيره بواسطته فهو في بسط[٢].

- **القِدَم**: هي السابقة التي حكم بها للعبد أزلًا.

- **قَدَمُ الصِّدْق**: هي السابقة الجميلة والموهبة الجزيلة التي حكم بها الحق تعالى لعباده الصالحين المخلصين في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢].

- **القُرْبُ القُدْسِيُّ**:

عبارة عن الفناء بما سبق في الأزل من العهد الذي بين الحق والعبد في قوله

---

(١) الرسالة القشيرية (١٣٥- ١٣٦).

(٢) لطائف الإعلام (٣٦٠- ٣٦١).

تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وقد يخص بمقام: «قاب قوسين».

• القرب والبعد:

أول رتبة في القرب: القرب من طاعته، والاتصاف في دوام الأوقات بعبادته.

وأما البعد فهو التدنس بمخالفته، والتجافي عن طاعته.

فأول البعد بُعد التوفيق، ثم بُعد عن التحقيق[1].

قال ﷺ مخبرًا عن الحق سبحانه: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»[2].

وقالوا: القرب عبارة عن الإقامة على الموافقة لأوامر الله والطاعة، والاتصاف في دوام الأوقات بعبادته[3].

فقرب العبد أولًا قرب بإيمانه وتصديقه، ثم قربٌ بإحسانه وتحقيقه، وقرب

---

(١) الرسالة القشيرية (١٥٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٠٢).

(٣) لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (٣٦٣).

الحق سبحانه ما يخصه اليوم به من العرفان، وفي الآخرة ما يكرمه به من الشهود والعيان، وفيما بين ذلك من وجوه اللطف والامتنان، ولا يكون قرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق، وهذه من صفات القلوب، دون أحكام الظواهر والكون.

وقرب الحق سبحانه بالعلم والقدرة عام للكافة، وباللطف والنصرة خاص بالمؤمنين، ثم بخصائص الأنس بالله مختص بالأولياء.

قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[٤].

ورؤية القرب حجاب عن القرب، فهو ممكور به أي مغرور به.

وأما القرب بالذات، فتعالى الله الملك الحق عنه، فإنه متقدس عن الحدود والأقطار والنهاية والمقدار وما اتصل به المخلوق، جلَّت صمديته عن قبول الوصل والفصل[٥].

---

(١) [سورة ق، الآية: ١٦].
(٢) [سورة الواقعة، الآية: ٨٥].
(٣) [سورة الحديد، الآية: ٤].
(٤) [سورة المجادلة، الآية: ٧].
(٥) الرسالة القشيرية (١٥٨).

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(١).

• القشر:

كل علم ظاهر يصون العلم الباطن ـ الذي هو لبّه ـ عن الفساد كالشريعة للطريقة، والطريقة للحقيقة، فإن لم يصن حاله وطريقته بالشريعة فسد حاله وآلت طريقته هوسًا وهوًى ووسوسة، ومن لم يتوصل بالطريقة إلى الحقيقة ولم يحفظها بها فسدت حقيقته، وآلت إلى الزندقة والإلحاد.

• القطبية الكبرى:

هي مرتبة قطب الأقطاب، وهو باطن نبوة سيدنا محمد ﷺ فلا يكون إلا لورثته، لاختصاصه عليه السلام بالأكملية، فلا يكون خاتم الولاية قطب الأقطاب إلا على باطن خاتم النبوة.

• القلب:

جوهر نوراني مجرد، يتوسط بين الروح والنفس، وهو الذي تتحقق به الإنسانية، ويسميه الحكيم: النفس الناطقة، والروح باطنه.

• القلم: علم التفصيل.

• القوامع:

كل ما يقمع الإنسان عن مقتضيات الطمع والنفس والهوى، وينزعه عنها، وهي

(١) [سورة الشورى، الآية: ١١].

الأمداد الأسمائية، والتأييدات الإلهية لأهل العناية في السير إلى الله والتوجه نحوه.

• القيام بالله:

هو الاستقامة عند البقاء بعد الفناء، والعبور على المنازل كلّها والسير عن الله بالله بالانخلاع عن الرسوم بالكليّة.

• القيام لله: هو الاستيقاظ من نوم الغفلة.

• القيامة:

الانبعاث بعد الموت إلى حياة أبدية، وذلك على ثلاثة أقسام:

أولها: الانبعاث بعد الموت الطبيعي إلى حياة في أحد البرازخ العلوية والسفلية بحسب حال الميت في الحياة الدنيوية. وهي القيامة الصغرى كما ورد في الأثر: (من مات فقد قامت قيامته).

وثانيها: الانبعاث بعد الموت الإرادي إلى الحياة القلبية الأبدية في عالم القدس. قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾[(١)].

وثالثها: الانبعاث بعد الفناء في الله في الحياة الحقيقية عند البقاء بالحق وهي القيامة الكبرى. قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾[(٢)].

---

(١) [سورة الأنعام، الآية: ١٢٢].

(٢) [سورة النازعات، الآية: ٣٤].

• الكتاب المبين: هو اللوح المحفوظ المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(١).

• الكرامة:

هي أمر خارق للعادة تظهر على موصوف بالولاية والتقى والصلاح، فتظهر هذه الكرامة على يده، وقد تحصل بدعائه أو اختيار لعمل ما، كالرجل المؤمن الذي كان في مجلس نبي الله سليمان عليه السلام (آصف بن برخيا) حيث قال: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾(٢).

وقد ثبت أن سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه نزل الحيرة فطلبوا منه أن يشرب السم فأخذه بيده وقال: باسم الله. وشربه فلم يضره(٣).

والولي: هو المؤمن الذي يداوم على طاعة الله سبحانه وتعالى، ويتقي المعاصي والشبهات ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾(٤).

والولي: ليس معصومًا بل محفوظ، لا يصر على ذنب أو لمم وإذا ظهرت الخوارق على يد رجل مخالف للشرع فهو استدراج شيطاني.

ويجب التنبيه إلى أن الكرامة لا تكون إلا من رجل تقي مؤمن، يأتمر بما أمر الله ورسوله ﷺ، ويجتنب المعاصي والذنوب، ممتثلًا بأمور الشريعة، وإن ظهرت كرامة على يديه يشترط أن لا تخالف الشريعة.

---

(١) [سورة الأنعام، الآية: ٥٩].

(٢) [سورة النمل، الآية: ٤٠].

(٣) تهذيب التهذيب (٣/ ١٢٥).

(٤) [سورة يونس، الآية: ٦٣].

قال الإمام الجنيد رضي الله عنه: لو رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا حاله عند الأمر والنهي[١].

وأقول: إن إظهار الكرامة بدون سبب مشروع هو مذموم لما فيه من خطر النفس والمفاخرة والعجب.

وقال السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه: لا ترغب للكرامات وخوارق العادات، فإن الأولياء يستترون من الكرامات كما تستتر المرأة من الحيض[٢].

وقال العلامة فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى: إن صاحب الكرامة لا يستأنس بتلك الكرامة، بل عند ظهور الكرامة يصير خوفه من الله أشد، وحذره من قهر الله أقوى، فإنه يخاف أن يكون ذلك من باب الاستدراج[٣].

وقال الإمام القشيري رضي الله عنه: من أجلّ الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات، والحفظ من المعاصي والمخالفات[٤].

وقال سيدنا سهل التستري رضي الله عنه: من أكبر الكرامات أن تبدل خُلُقًا مذمومًا من أخلاق نفسك بخلق محمود[٥].

وقال الشيخ أحمد الحارون رحمه الله تعالى: كرامتان ليس بعدهما كرامة:

---

(١) الزواجر (٢/ ٢٨٥).

(٢) البرهان المؤيد (١٦١).

(٣) التفسير الكبير (٥/ ٦٩٢).

(٤) الرسالة القشيرية (١٦٠).

(٥) اللمع للطوسي (٤٠٠).

الإيمان والاستقامة، فإذا وجدتم رجلًا مستقيمًا فلا تطلبوا منه كرامة[١].

وقال الإمام القشيري رضي الله عنه: لو لم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدح عدمها في كونه وليًا[٢].

• الكرسي: موضع الأمر والنهي.

• الكشف:

هو نور يحصل للسالكين ينكشف معه الحجاب المادي والحسي، فيرون الأمور على حقيقتها.

إن القلوب تتولى هذا الكشف فتنعكس الأبصار في البصائر، فتمّحي الأزمنة والأمكنة والمسافات ولا يكون هذا الكشف إلا للمتقين، الذين غضوا أبصارهم عن المحرمات، وكفوا أنفسهم عن الشهوات، وعمروا باطنهم بمراقبة الله، وأكلوا الحلال، فزكت أنفسهم.

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: إن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر، ولا يتمكن منه إلا الذين اتقوا، فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز بلقاء الله[٣].

وأصل الكشف ثابت في القرآن والسنة وعند الصحابة: قال تعالى:

---

(١) كرامات الأولياء لأبي محمد الخلال (١٥).
(٢) الرسالة القشيرية (١٥٩).
(٣) نظرات في التصوف الإسلامي (١٧٧- ١٧٨).

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾[١]. لا شك أن (نري) بمعنى الكشف.

وفي قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام والرجل الصالح ما يدل على الكشف بشكل صريح وواضح.

فقد انكشف للرجل الصالح ما لم ينكشف لأصحاب السفينة بأنه سيعمد ملك ظالم إلى غصبها بدون مقابل، وأفضل طريقة لخلاصها لهم أن يعيبها، وكذلك الغلام... فقتله رحمة بأبويه المؤمنين استجابة لإرادة الله، وكذا الجدار الذي تحته كنز مخبأ لغلامين يتيمين.

وأما في السنة:

فعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أقيمت الصلاة فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: «أقيموا صفوفكم، وتراصوا، فإني أراكم من وراء ظهري»[٢].

وأثناء معركة مؤتة في بلاد الشام والنبي ﷺ في المدينة، نعاهم رسول الله ﷺ إلى الناس قبل أن يأتيهم الخبر، فقال: «أخذ الراية زيدٌ فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح عليه»[٣].

وقال ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[٤].

---

(١) [سورة الأنعام، الآية: ٧٥].

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧١٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤٢٦١).

(٤) رواه الترمذي في سننه (٣٣٩٢).

ولقد ثبت أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عهده، كان سارية بن زنيم الخلجي أميرًا على جيش من جيوش المسلمين في بلاد فارس قرب نهاوند، وعمد الفرس إلى محاصرتهم ولو لم يحموا أنفسهم بجبل قريب لهلكوا.

صعد أمير المؤمنين المنبر في المدينة، وهتف: (يا سارية الجبل الجبل) فكشف الله له الحجاب عن وضع المسلمين وعن النجاة، وأوصل الله تعالى الصوت للجيش كرامة لعمر رضي الله عنه[1].

وسبب الكشف:

هو أن الروح إذا رجعت عن الحس الظاهر إلى الباطن، ضعفت أحوال الحس، وقويت أحوال الروح، وغلب سلطانه، وأعان عليه الذكر فإنه كالغذاء لتنمية الروح، ولا يزال في نمو وتزايد إلى أن يصير شهودًا، ويكشف حجاب الحس ويتم صفاء النفس.

ويساعد في قوة الكشف: صفاء القلب، والتسامح، والإكثار من ذكر الله، والارتباط بالشيخ الذي له سند إلى النبي ﷺ من أهل الصلاح والتقوى، والإكثار من الصوم، والخلوة.

وأقول: إذا رأى أحد المسلمين رسول الله ﷺ في المنام وأخبره بشيء كأن قال له هذا الحديث صحيح وعندما استيقظ سأل أحد المحدثين، فقال له: هذا الحديث موضوع لا أصل له، ورؤيا النبي ﷺ حق فماذا يجب عليه؟

---

(١) كشف الخفا (٣٨١) وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: حديث حسن.

هذه الرؤيا خاصة له يحتفظ بها لنفسه ويعمل بها ما دامت لا تخالف الكتاب والسنة ولكن لا يجوز له أن يفرضها على المسلمين ولو فعل ذلك لجاء الكثير من أعداء الإسلام وادَّعوا أنهم رأوا رسول الله عليه السلام وبذلك تنتشر الأحاديث الموضوعة ولإغلاق هذا الباب أقول: هذه الرؤيا خاصة فقط لصاحبها.

• كلمة الحضرة : كن.

• الكمال: التنزيه عن الصفات وآثارها.

• الكنود : في الشريعة تارك الفرائض، وفي الطريقة تارك الفضائل، وفي الحقيقة من أراد شيئًا لم يرده الله تعالى لأنه ينازع الله في مشيئته فلم يعرف حقَّ نعمته.

• كوكب الصبح : أول ما يبدو من التجليات، وقد يطلق على المتحقق بمظهورية النفس الكلية من قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾[1].

• الكون: كل أمر وجودي.

• الكيمياء : القناعة بالموجود، وترك التشوق إلى المفقود. ورد في الأثر: (القناعة كنز لا يفنى).

• كيمياء السعادة : تهذيب النفس باجتناب الرذائل والتخلي عنها، واكتساب الفضائل والتحلي بها.

(١)[سورة الأنعام، الآية: ٧٦]

• اللب: هو العقل المنور بنور القدس عن قشور الأوهام والتخيلات.

• اللطيفة: هي كل إشارة دقيقة المعنى تلوح للفهم لا تسعها العبارة، كعلوم الأذواق[١]، وقد تطلق بإزاء النفس الناطقة[٢].

• اللوامع:

أنوار ساطعة تلمع لأهل البدايات من أرباب النفوس الضعيفة الظاهرة، فتنعكس من الخيال إلى الحس المشترك، فتصير مشاهدة بالحواس الظاهرة، فيرى أن لهم أنوارًا كأنوار الشهب والقمر والشمس فيضيء ما حولهم.

فهي إما عن غلبة أنوار القهر والوعيد على النفس فيضرب إلى الحمرة، وإما من غلبة أنوار اللطف والوعد فيضرب إلى الخضرة والنقوع[٣].

• اللوائح:

هي ما يلوح من الأسرار الظاهرة عند السمو من حال إلى حال، وقيل: ما يلوح للبصر إذا لم يتقيد بالجارحة من الأنوار الذاتية لا من جهة القلب[٤].

فاللوائح كالبروق[٥].

---

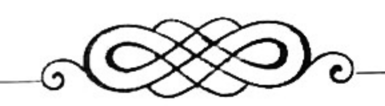
(١) التعريفات (٢٧١).

(٢) لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (٣٨٠).

(٣) التعريفات (٢٧٣).

(٤) المرجع السابق.

(٥) الرسالة القشيرية (١٥٣).



• **المثال**: هو الإنسان، وهي الصورة التي فُطِر عليها.

• **المجاهدة**:

هي استفراغ الوسع في مدافعة العدو.

الجهاد ثلاثة أضرب:

مجاهدة العدو ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس.

وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[١].

وليس المراد من مجاهدة النفس استئصال صفاتها، بل المراد تصعيدها من سيئ إلى حسن، وتسييرها على مراد الله تعالى، وابتغاء مرضاته.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾[٢].

وقال العلامة المفسر القرطبي في تفسير هذه الآية:

(قال السدي وغيره: إن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال).

وهذا يدل على أن المراد بالجهاد هنا هو جهاد النفس كما قال المفسر ابن جزيء في تفسيرها: يعني جهاد النفس.

وقال ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في الله»[٣]. وفي رواية: «في طاعة الله»[٤].

---

(١) [سورة الحج، الآية: ٧٨].

(٢) [سورة العنكبوت، الآية: ٦٩].

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (١٦٢١) وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٢١)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٠- ١١) وصححه ووافقه الذهبي.

حكم المجاهدة:

تزكية النفس فرض عين ولا تتم إلا بالمجاهدة ومن هنا كانت المجاهدة فرض عين أيضًا من باب: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

وقال الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالى: المجاهدة في النفس عبادة، ولا تحصل لأحد إلا بالعلم، وهي فرض عين على كل مكلف[١].

وأول مرحلة في المجاهدة عدم رضا المرء عن نفسه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[٢].

وإذا اكتشف المسلم عيوب نفسه وصدق في تهذيبها لم يعد عنده متسع في الوقت للانشغال بعيوب الناس وإضاعة العمر في تعداد أخطائهم.

ولا بد من صحبة طبيب القلوب والمرشد الرباني:

فالذي يحقق النفع للمريد هو استقامته على صحبة مرشده واستسلامه كاستسلام المريض للطبيب، فإذا ما أدخل الشيطان على قلب المريد داء الغرور والاكتفاء الذاتي فأعجب بنفسه واستغنى عن ملازمة شيخه باء بالفشل ووقف وهو يظن أنه سائر، وقطع وهو يظن أنه موصول[٣].

فلقد كان سيدنا محمد ﷺ المرشد الأول والمزكي الأعظم الذي ربى أصحابه الكرام رضي الله عنهم وزكى نفوسهم بقاله وحاله، كما وصفه الله

---

(١) شرح الطريقة المحمدية (١/ ٣٢٣).

(٢) [سورة يوسف، الآية: ٥٣].

(٣) حقائق عن التصوف (١١٩).

تعالى بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(١).

وقال الإمام البركوي رحمه الله تعالى:

المجاهدة: هي فطم النفس وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات.

قال تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾(٢).

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى:

إن نجاة النفس أن يخالف العبد هواها، ويحملها على ما طلب منها ربها.

وقال أبو علي الدقاق رضي الله عنه: من زين ظاهره بالمجاهدة حسَّن الله سرائره بالمشاهدة.

وقال أيضًا: من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد في هذه الطريقة شمة(٣).

إذن فالمجاهدة أصل من أصول الطرق الصوفية، وقد قالوا: من حقق الأصول نال الوصول ومن ترك الأصول حرم الوصول.

• **المجذوب**:

من اصطنعه الحق تعالى لنفسه، واصطفاه لحضرة أنسه، وطهره بماء

---

(١) [سورة الجمعة، الآية: ٢].

(٢) [سورة العنكبوت، الآية: ٦].

(٣) الرسالة القشيرية (٤٨- ٥٠).

قدسه فحاز من المنح والمواهب ما فاز به بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب.

والمجذوب يعيش نشوة روحيّة عارمة يتفرد بها عمن يحيطون به، ويعجز القول عن تحديدها والإبلاغ عنها.

والمجذوب يكون سلوكه محل استغراب عند من لا يعرف حقيقة حاله، ويغلبه الوجد فتكون حركاته عفوية غير قصدية.

- **مجمع البحرين**: هو حضرة جمع الوجود باعتبار اجتماع الأسماء الإلهية والحقائق الكونية فيها.

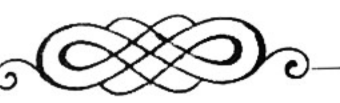
- **المحادثة**: هي خطاب الحق للعارفين من عالم الملك والشهادة كالنداء من الشجرة لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام.

- **المحاضرة**: حضور القلب بتواتر البرهان.

المحاضرة: هي حضور القلب وقد يكون بتواتر البرهان، وهو وراء الستر إن كان حاضرًا باستيلاء سلطان الذكر.

صاحب المحاضرة: مربوط بآياته، وصاحب المكاشفة: مبسوط بصفاته، وصاحب المشاهدة: ملقىً بذاته.

صاحب المحاضرة يهديه عقله، وصاحب المكاشفة يدنيه علمه، وصاحب المشاهدة: تمحوه معرفته.



• المحبة:

لغة: اللزوم والثبات.

اصطلاحًا: الميل والهوى، والعلاقة من تعلق القلب بالمحبوب.

قال الصوفية: المحبة من شروط الإيمان.

وجاء في القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾[(١)].

قال سهل التستري: محب الله على الحقيقة من يكون اقتداؤه في أحواله وأفعاله وأقواله بالنبي ﷺ.

وقال أبو الحسين العراقي: علامة حب الله متابعة حبيبه ﷺ[(٢)].

وقيل: المحبة هي قطب المقامات، وهي أصل العبادة[(٣)].

وقال عبد الله القرشي: حقيقة المحبة أن تهب لمن أحببت كلك، ولا يبقى لك منك شيء[(٤)].

وقال ابن الجوزية: المحبة أول أدوية الفناء.

المحبة تغني خواطر المحب عن التعلق بالغير، وأول ما يفنى من المحب خواطره المتعلقة بما سوى محبوبه.

---

(١) [سورة آل عمران، الآية: ٣١].

(٢) حبة المحبة (٤٦).

(٣) مدارج السالكين (٢٤٦).

(٤) عوارف المعارف (٥٠٧).

وقيل: المحبة هي استيلاء المحبوب على السر، واستهتار القلب بدائم الذكر[١].

• المحفوظ:

هو الذي حفظه الله تعالى عن المخالفات في القول والفعل والإرادة فلا يقول ولا يفعل إلا ما يرضي به الله، ولا يريد إلا ما يريده الله، ولا يقصد إلا ما أمر الله به.

• المحق: فناؤك في عينه.

• محو أرباب السرائر:

هو إزالة العلل والآفات، ومقابله **إثبات المواصلات**: وذلك برفع أوصاف العبد ورسوم أخلاقه وأفعاله بتجليات صفات الحق وأخلاقه وأفعاله كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: «وكنت سمعه الذي يسمع به».

• محو أرباب الظاهر:

رفع أوصاف العادة والخصال الذميمة ويقابله **الإثبات**: الذي هو إقامة أحكام العبادة واكتساب الأخلاق الحميدة.

• المحو والإثبات:

المحو: رفع أوصاف العادة.

---

(١) منثور الخطاب (٦٨).

والإثبات: إقامة أحكام العبادة.

فمن نفى عن أحواله الخصال الذميمة، وأتى بدلها بالأفعال والأحوال الحميدة، فهو صاحب محو وإثبات.

وأما حقيقة المحو والإثبات فصادران عن القدرة:

فالمحو: ما ستره الحق ونفاه.

والإثبات: ما أظهره الحق وأبداه.

والمحو والإثبات مقصوران على المشيئة.

قال تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾[(١)].

قيل: يمحو عن قلوب العارفين ذكر غير الله تعالى، ويثبت على ألسنة المريدين ذكر الله، ومحو الحق لكل أحد وإثباته على ما يليق بحاله[(٢)].

وقال ابن عطاء: يمحو أوصافهم، ويثبت أسرارهم[(٣)].

• المدد:

يختلف معنى كلمة (مدد) باختلاف نية قائلها.

وورد في لسان العرب عن معنى كلمة مدد: مددنا القوم، أي صرنا لهم أنصارًا ومددًا.

---

(١) [سورة الرعد، الآية: ٣٩].

(٢) الرسالة القشيرية (١٥٠).

(٣) لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (٣٩٣).

وأمدَّ الأمير جنده بالخيل والرجال وأعانهم، وأمدهم بمال كثير وأغناهم.

والمدد: العساكر التي تلحق بالمغازي في سبيل الله، والإمداد أن يرسل الرجل مددًا[١].

وقال الإمام الفيومي رحمه الله تعالى: أمددته بمدد: أعنته وقويته به[٢].

فإذا قال المسلم: مدد يا الله، أي أعني وأمدني بقوتك، وانصرني على عدوك، وزدني بالرحمات والبركات، وأمدني بالمقدرة على طاعتك ومحاربة نفسي وشيطاني.

وأما إذا قال: مدد يا أولياء الله، فمعناه: علمونا مما علمكم الله، وأمدونا مما أمدكم الله سبحانه به من العلوم والعرفان، وساعدونا بما ينفعنا لسيرنا، وأرشدونا في سلوكنا إلى محبة الله بإذن الله.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[٣].

إن التعاون بين الخلائق هو المدد، أي المساعدة ونصرة بعضهم لبعض، فلو طلب الإنسان من جنسه الإمداد فليس بمعنى أن يطلب منه كما يطلب من ربه، ولكن بالمدد والقدرة التي أمده الله بها، والإمداد بالمعنى المذكور على قسمين:

القسم الأول: هو مدد صرف من الله سبحانه وهو ما لا يتم على الحقيقة إلا

---

(١) لسان العرب، مادة (م د د).
(٢) المصباح المنير، مادة (م د د).
(٣) [سورة المائدة، الآية: ٢].

منه، ولا تكون الإغاثة للخلق إلا به سبحانه، قال الله تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾[(١)].

والمعنى كما قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى: نزيده من عطائنا على تلاحق من غير انقطاع، نرزق المؤمنين والكفار وأهل الطاعة وأهل المعصية.

القسم الثاني: وهو ما يجريه الله سبحانه وتعالى على يد ملائكته الكرام بما آتاهم الله من القوة والأسرار، وعلى يد أنبيائه عليهم الصلاة والسلام بواسطة المعجزات، وعلى يد أوليائه بطريق الكرامات.

وطلب المدد من الأنبياء والأولياء أي التوسل بهم، وأدلة التوسل كثيرة جدًا منها:

ثبت عن سيدنا عثمان بن حنيف رضي الله عنه: أن رجلًا كان يختلف إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، وكان عثمان رضي الله عنه لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقيه الرجل فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان ابن حنيف: ائت الميضأة ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فيقضي حاجتي. وتذكر حاجتك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذه بيده فأدخله على عثمان فأجلسه معه على الطنفسة وقال: وما حاجتك؟

فذكر حاجته فقضاها له، ثم قال: ما ذكرتُ حاجتك حتى كانت هذه

---

(١) [سورة الإسراء، الآية: ٢٠].

السلام: «ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات»، فقال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرٌّ قطُّ[١].

وعن مالك الدار وكان خازن عمر قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله (وفي رواية يا محمداه) استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتي الرجل في المنام فقيل له: ائت عمر فأقرئه السلام وأخبره بأنكم مُسْتَقيون، وقل له: عليك الكَيْس فأتى عمر فأخبره فبكى عمر، ثم قال: يا رب لا آلو ما عجزت عنه[٢].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨٣١١٠) وقال بعد ذكر طرقه: والحديث صحيح، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٢٨)، وصححه الحاكم (١/ ٥٢٦) ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٦٦٨) والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٧٦) ونقلا تصحيح الطبراني له، وابن تيمية في كتاب التوسل والوسيلة (١٠١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ٣١- ٣٢)، والبخاري في تاريخه (٧/ ٣٠٤)، والحافظ أبو يعلى الخليلي في الإرشاد (٦٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٤٧)، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢/ ٤٩٥): إسناده صحيح، وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ١٠٥) وفي التفسير (١/ ٩١): إسناده صحيح.

وعن الهيثم بن خنيس قال: كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فخدرت رجله، فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك، فقال: يا محمد، فكأنما نشط من عقال[١].

وذكر الحافظ ابن كثير أن شعار المسلمين في وقعة اليمامة، [يا محمد][٢].

وقال ابن تيمية في فتاويه في الجزء الأول منها بعد تعريفه الاستغاثة وكلامه عنها: إن جعل الله ذلك ـ أي الغوث ـ على يدي غيره، فالحقيقة له سبحانه وتعالى ولغيره مجاز.

وأقول: أدلة المجاز كثيرة منها:

قالت أم سيدنا إسماعيل مخاطبة سيدنا جبريل عليه الصلاة والسلام: أغث إن كان عندك غوث[٣].

والفرق جلي واضح جدًا:

وهو أن الله سبحانه يمد من يشاء من عباده، من خزائن فضله ورحمته بالمعونة والإغاثة والنصرة على الكفار والمشركين، متى شاء وكيفما شاء، ولا يتوقف عطاؤه تعالى على إذن أحد أو رضاه.

وقد جعل الله تعالى في هذه الدنيا ملائكة لهم وظائف وأعمال ظاهرية

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٦٤) وذكره ابن تيمية في الكلم الطيب في الفصل السابع والأربعين (١٦٥).

(٢) البداية والنهاية (٦/ ٣٢٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٣٦٥).

وباطنية يأتمرون بما أمرهم الله به، وهو بالحقيقة مستمد من إمداد الله تعالى.

قال تعالى في حق الملائكة: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(١).

وقال سبحانه وتعالى أيضًا في حق الملائكة: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾(٢).

وقال عز وجل في حق الملائكة: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾(٣).

فالفعل في هذه الآية راجع لملك الموت بأمر الله وإذنه سبحانه.

وقال تعالى في حق سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾(٤).

وقال تعالى أيضًا في حقه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى﴾(٥).

وقال أيضًا: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾(٦).

---

(١) [سورة ق، الآية: ١٨].
(٢) [سورة الرعد، الآية: ١١].
(٣) [سورة السجدة، الآية: ١١].
(٤) [سورة المائدة، الآية: ١١٠].
(٥) [سورة المائدة، الآية: ١١٠].
(٦) [سورة المائدة، الآية: ١١٠].

إن الإمداد الذي يفيضه الله على أنبيائه كالأمانة المستعارة عندهم ليعلموا بواسطتها هداية الخلق إلى طاعة ربهم.

ألم يقل الله في حق نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾[1].

وقال تعالى في حقه ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[2].

ونقل عن الإمام مالك رحمه الله تعالى أن الخليفة المنصور سأله: إذا زرت النبي ﷺ فهل أتوجه إليه، أم إلى القبلة؟ فأجابه الإمام مالك: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله[3].

وسئل الإمام شمس الدين محمد بن العلامة شهاب الدين أحمد الرملي: عن قول العوام يا رسول الله! يا شيخ فلان! ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين فهل ذلك جائز أم لا؟ وهل للرسل والأنبياء والأولياء والصالحين والمشايخ إغاثة بعد موتهم؟ فأجاب:

بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام والأولياء والعلماء والصالحين جائزة، وللرسل والأنبياء والأولياء والصالحين إغاثة بعد موتهم.

---

(١) [سورى الشورى، الآية: ٥٢].
(٢) [سورة الجمعة، الآية: ٢].
(٣) الشفا للقاضي عياض (٢/ ٤٠- ٤١).

وأما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يصلون كما وردت به الأخبار، وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم.

والشهداء أيضًا أحياء في قبورهم، وأما الأولياء فهي كرامة لهم، فإن أهل الحق مجمعون على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة يُجريها الله تعالى بسببهم، والدليل على جوازها أمور ممكنة، لا يلزم من وقوعها محال، وكل ما هذا شأنه فهو جائز الوقوع[1].

فما دام سيدنا محمد ﷺ حاملًا الرحمة والرأفة الإلهية للعالمين وأسرار التزكية للعالم بأجمعه فهذا يعني أنه يمد الخلق بإذن الله بالرحمة والرأفة، والآية الكريمة واضحة في كلمة (ويزكيهم) واستطاع بفضل الله وبواسطة عطاء الله له تزكية من اتبعه وأطاعه، فأصلح من كانوا أشر الناس في الجاهلية وأفظهم قتلًا وكفرًا، فأصبحوا بعدها ألطف الناس وأحسنهم أخلاقًا ودينًا وإيمانًا.

وإن الله أعطى سيدنا محمدًا ﷺ المقدرة والإمداد ليرشد الخلق.

إذا قال السائل: مدد يا رسول الله أي استغفر لي وعلمني مما علمك الله بإذن الله، وكذلك إذا قال: مدد يا أولياء الله أي يطلب منهم التوسط له عند سيدنا محمد ﷺ بطلب الشفاعة والمغفرة والإحسان فكل إنسان مبتدئ في أمور الدين والتزكية يحتاج إلى علم من سبقه في هذا المجال.

والذي يذهب إلى الطبيب ويستغيث به بقوله: يا طبيب خلصني من آلامي هل يكون مخطئًا لأنه يستغيث بإنسان ليمده بالشفاء بواسطة العقاقير؟! بالطبع

(١) حاشية الفتاوى الكبرى (٤/ ٣٨٢) للإمام الرملي.

لا، لأن الله جعل الوسائط والأسباب بين خلقه، وسعي العباد لكسب الأرزاق، وكذلك معالجة المرأة العاقر بالعقاقير والأدوية، مع العلم يقينًا أن الله سبحانه هو رزاق العباد بالأموال والبنين لا ينافي قول الله: ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾[(١)].

ومما لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى بحكمته قد سخر الخلائق بعضها لبعض، وليفيد بعضها بعضًا بإذنه تعالى، فكل نوع يفيد نوعه.

فالشمس تعكس نورها على القمر في الليل، والقمر يعكس ضوءه على الأرض ويقال لهذه الظاهرة: مدد انعكاس.

فمن هنا نرى أن الإنسان يستفيد من هذه الأنوار المخلوقة بوسائط ووسائل، فالله عز وجل قادر أن ينير الأرض بدون شمس ولا قمر وهو ليس بحاجة لهما ولا لغيرهما من مخلوقاته.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾[(٢)].

فالشمس والقمر ليسا أعظم من رسول الله ﷺ الذي وهبه قوة أعظم من الشمس والقمر، تضيء بنور سراج قلبه عالم القلوب بإذن ربه، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[(٤)].

---

(١) [سورة نوح، الآية: ١٢].
(٢) [سورة يونس، الآية: ٥].
(٣) [سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥- ٤٦].
(٤) [سورة البقرة، الآية: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

وقال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت رضي الله عنه: «قل وروح القدس يؤيدك»[٢]، وفي رواية: «قل وروح القدس معك»[٣].

فنسب التأييد والمعية التي فيها الغوث والعون إلى سيدنا جبريل عليه السلام.

وعن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياء ولا سمعة وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك»[٤].

وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله

---

(١) [سورة النحل، الآية: ٤٣].

(٢) أخرجه مسلم (٦٣٤٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦١٥٣)، ومسلم (٦٣٣٧).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢١)، وابن ماجه (٧٧٨)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٠)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٤٧)، وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢١٢)، وقد حسنه جمع من الحفاظ منهم ابن حجر كما في أمالي الأذكار (١/ ٧٢)، والحافظ العراقي كما في تخريج الإحياء (١/ ٢٩١)، والحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ الحافظ المنذري كما في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٧٣)، والحافظ الدمياطي في المتجر الرابح (٤٧١) وقال الحافظ البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ٩٩) رواه ابن خزيمة في صحيحه في طريق فضيل بن مرزوق فهو صحيح عنده.

عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا)، قال: فيسقون.

وفي الحديث إثبات التوسل به ﷺ وبيان جواز التوسل بغيره كالصالحين من آل بيت النبي ﷺ وغيرهم كما قال الحافظ أمير المؤمنين في الحديث ابن حجر العسقلاني في فتح الباري(١).

وقال ﷺ: «إذا كنت لا بد سائلًا فاسأل الصالحين»(٢).

وهذا مجاز ومن باب الأسباب، وأما في الحقيقة فلا نسأل إلا الله لقوله ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»(٣).

كذلك التوسل بالأعمال الصالحة هذا من باب المجاز، وأما من باب الحقيقة فلا نسأل إلا الله.

وكذلك الاستعانة على الحقيقة لا نستعين إلا بالله، وأما من باب المجاز فقد قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾(٤). وقال ﷺ: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»(٥).

وقال ابن تيمية: وأما التوسل بالنبي ﷺ ففيه حديث في السنن: أن أعرابيًا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠١٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٣٣٤)، وأبو داود في سننه (١٦٤٦) والنسائي في سننه (٢٥٨٦).

(٣) رواه الترمذي في سننه (٢٥١٦)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) [سورة البقرة، الآية: ٤٥].

(٥) أخرجه مسلم (٦٧٩٣).

أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أصبت في بصري فادع الله لي، فقال له النبي ﷺ: «توضأ وصلِّ ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد، يا محمد إني أتشفع بك في رد بصري، اللهم شفع نبيك فيَّ، - وقال: فإن كانت لك حاجة فمثل ذلك»، فرد الله بصره[١][٢].

وقال محمد ناصر الدين الألباني في كتاب شرح العقيدة الطحاوية: فأجاز الإمام أحمد التوسل بالرسول ﷺ وحده، وأجاز غيره كالإمام الشوكاني التوسل به وبغيره من الأنبياء والصالحين[٣].

وقال الإمام النووي عند زيارة قبر النبي ﷺ يقول الزائر: السلام عليك يا رسول الله... إلى أن قال: ويتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى[٤].

وقال الإمام الشوكاني: ويتوسل إلى الله بأنبيائه والصالحين ثم قال: ومن التوسل بالأنبياء: وذكر قصة الأعمى، وأما التوسل بالصالحين: فحديث استسقاء سيدنا عمر بن الخطاب بسيدنا العباس رضي الله عنهما[٥].

ونقل الخطيب البغدادي في أوائل تاريخه بسند صحيح أن الشافعي توسل بأبي حنيفة رضي الله عنهما[٦].

---

(١) مرَّ تخريجه ص١١٢.

(٢) الفتاوى الكبرى (١/ ١٠٥).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لمحمد ناصر الألباني (٤٦).

(٤) المجموع (٨/ ٢٧٢).

(٥) تحفة الذاكرين (٣٧).

(٦) الرد المحكم المتين (٨١).

فإن طلب المريد المدد من شيخه ما هو إلا انعكاس قلب الولي الكامل الذي هو أفضل عند الله من الشمس والقمر على قلب المريد ولا شك أن الشيخ هو أحد ورّاث النبي ﷺ حيث قال: «إن العلماء ورثة الأنبياء» وقال في الحديث نفسه: «وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب»[1].

قال: كفضل القمر لأنه ﷺ هو الشمس المضيئة كما أن الشمس تعكس نورها على القمر والقمر يعكس نوره على الأرض كذلك فإن رسول الله ﷺ يعكس نوره على قلوب الأولياء وهم يعكسون ذلك النور على المريدين.

وإذا ثبت الاستمداد بين الجمادات فيما بينها، فكيف ينتفي بين المخلوقات البشرية والله خلق الإنسان في أحسن تقويم وكرّم بني آدم؟!

إن الولي إذا أمدَّ الطالبين فإنما يمدهم مما أمده الله به، فهو لا يفيد الناس بشيء من دون الله، إنما الضار النافع هو الله في الحقيقة.

فجميع الفوائد التي ظهرت على أيدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء رضي الله عنهم من عجائب المعجزات وغرائب الكرامات، ما هي إلا إشارات على نعم المنعم العظيم سبحانه التي أظهرت على يد من أنعم عليه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وإن إمداد الله لرسله وأوليائه يكون حسب ما يريد الله ويشاء، وإمداد الرسل والأولياء لباقي العباد يكون أيضًا حسب ما يريد ويشاء.

---

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٢٦٨٢).

هذا ولم ترد آية أو حديث بتكفير من يستمد من الأنبياء والصالحين الاستمداد الشرعي الصحيح، ومن ادَّعى يلزمه الدليل[١].

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[٢].

• المذاكرة:

هي استفادة المريد من خبرة مرشده بسؤاله عن أحكام شرعية تتعلق بتصحيح العقائد أو العبادات أو المعاملات.

أو بأن يعرض له ما يحدث معه من أحوال قلبية وخواطر نفسية وشيطانية قد تلتبس عليه فتوقعه في شكوك وأوهام، كالشكوك في العقائد الإيمانية، وكالتعلقات الدنيوية التي يقف حيالها حائرًا مضطربًا.

أو بأن يكشف له عن أمراضه القلبية كالكبر والحسد والنفاق وحب الرياسة، وعن رعوناته النفسية كالتحدث عن كراماته ومرائيه بغية الثناء والشهرة... وغير ذلك من الصفات الناقصة بغية معرفة طريق الخلاص منها.

وهكذا يرجع المريد لمرشده في جميع أحوال سيره لاجتياز العقبات التي تعترض طريقه.

وقد يذاكر المريد شيخه في أحواله الطيبة ومقامات سيره، واستشراف روحه للحضرة الإلهية، وما يرد على قلبه من واردات رحمانية أو ملكية ومفاهيم

---

(١) للتوسع انظر: الموسوعة اليوسفية، باب (المدد).
(٢) [سورة البقرة، الآية ١١١].

قرآنية وعلوم وهبية، والقصد من ذلك الاستيثاق من صحتها حتى يكون المريد على بصيرة من مراحل سيره.

فالمذاكرة لها أهمية كبرى في سير المريد إلى الله تعالى، وهي ركن عظيم من أركان الطريق الخمسة:

الذكر، والمذاكرة، ومجاهدة النفس، والعلم، والمحبة.

ومثل المريد مع مرشده كمثل المريض الذي يكشف لطبيبه كل ما يلقاه من أعراض مرضية، كما يخبره عن جميع مراحل تحسن جسمه وصحته.

ومن جهة أخرى فإن المذاكرة تقوي الصلة بين المريد والمرشد، فتزداد المحبة ويقوى التجاوب، كما أن المريد يستفيد بالمذاكرة من شيخه علمًا وحالًا ومعرفة، لأن العلم روح تنفخ لا مسائل تنسخ.

فالمذاكرة إذن تطبيق عملي لأدب من آداب الشرع، وخلق أساسي من أخلاق الإسلام، وهو الشورى التي مدح الله بها المؤمنين بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[1].

والتي دعا إليها الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بقوله: «المستشار مؤتمن»[2].

وإذا كانت الشورى هي للاستفادة من خبرة أهل الاختصاص في أي جانب من جوانب الحياة، كالمريض الذي يستفيد من خبرة الطبيب، والبَنَّاء الذي

(١) [سورة الشورى، الآية: ٣٨].
(٢) رواه الترمذي في سننه (٢٨٢٢).

يستفيد من خبرة المهندس، والمظلوم الذي يستفيد من خبرة المحامي، فإن المذاكرة هي للاستفادة من خبرة المرشد في ميدان التطبيق العلمي والعملي لدين الله تعالى، وقد نوّه الله تعالى لهذه الاستفادة بقوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وبقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[2].

الفرق بين المذاكرة وبين الاعتراف عند النصارى:

قد يتوهم بعض الناس بأن هناك تشابهًا بين مذاكرة المريد لشيخه وبين الاعتراف عند النصارى.

ولكن العاقل المنصف لا يتسرع في الحكم، ولا يلقي الكلام جزافًا دون تفكير أو تدبر، بل يفرق بين من يأتي الإنسان مثله فيكشف له عن آثامه وجرائمه بغية أن يغفر له كما هو الأمر عند النصارى.

وبين من يأتي لخبير عالم فيكشف له عن أمراضه وأحواله بغية أن يدله على الطريق العلمي للتخلص منها، كما يكشف المريض عن أمراضه ولو كانت مما يستحى منها من أجل تشخيص الداء ووصف الدواء الناجع.

هذا إذا كان الشيخ من أهل الكمال، والأفضل أن يعترف لشيخه بطريقة غير مباشرة كقوله: إنسان حصل معه كذا، ما هو العلاج؟

---

(١) [سورة النحل، الآية ٤٣].

(٢) [سورة الفرقان، الآية ٥٩].

الفرق بين المذاكرة وبين المجاهرة بالمعصية:

قد يشتبه الأمر على بعض الناس فيظنون أن مذاكرة المريد لمرشده في أمراضه القلبية وأحواله النفسية من معاصٍ ومخالفات نوع من المجاهرة بالمعصية.

لكنْ هناك فرق كبير بين من يرتكب الإثم، ثم يأتي للناس يحدث عنه من باب المباهاة والتلذذ بذكره والدعوة إليه، وبين من يندم على ذنبه ويتحير في معرفة العلاج الجذري الذي ينقذه من وضعه المذموم، فيأتي ليستفيد من خبرة مرشده.

ونقل الإمام المناوي في معرض شرحه لحديث المجاهرة: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من الإجهار أن يعمل الرجل بالليل عملًا، ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه»[١]. قول الإمام الغزالي: (الكشف المذموم إذا وقع على وجه المجاهرة والاستهزاء، لا على وجه السؤال والاستفتاء، بدليل خبر من واقع امرأته في رمضان[٢]. فجاء فأخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام فلم ينكر عليه)[٣][٤].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦٠٦٩) ومسلم (٧٤٨٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٩٣٦) ومسلم (٢٥٩٦).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٥/ ١٢).

(٤) انظر: حقائق عن التصوف، الميزان العادل، باب (المذاكرة).

• المراد:

هو المجذوب عن إرادته مع تهيؤ الأمور له، فجاوز الرسوم كلها والمقامات من غير مكابدة.

وقال الشيخ أبو إسماعيل الأنصاري: إن المراد هو المختطف من وادي التفرق إلى ربوة الجمع.

وهذا هو الإنسان الذي اجتباه الحق، واستخلصه بخالصة الاجتباء.

سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام خرج ليقتبس نارًا فاصطنعه الله لنفسه واجتباه واختاره[١].

• المراقبة:

لغة: من رَقَبَ، ويدل على انتظارٍ لمراعاة شيء، ومن المراقبة الرقيب وهو المنتظر والشهيد والحارس.

واصطلاحًا: علم العبد ويقينه أن الله عز وجل مطلع على ما في قلبه وضميره، وهو يراقب الخواطر المذمومة المشغلة للقلب عن ذكر سيده[٢].

والمراقبة على ثلاثة مقامات:

مراقبة النفس وتكون بالمحاسبة.

---

(١) لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (٣٩٩) مع تصرف يسير.
(٢) اللمع (٥١).



ومراقبة القلب وتكون بجمع الهم.

ومراقبة الحق وتكون بالمشاهدة(١).

وقال المحاسبي: المراقبة في ثلاثة أشياء: مراقبة الله في طاعته بالعمل، ومراقبة الله في معصيته بالترك، ومراقبة الله في الهم والخواطر.

وقال: المراقبة: هي علم القلب بقرب الرب عز وجل، ودوام علم القلب بعلم الله عز وجل، علمًا لازمًا للقلب بصفاء اليقين(٢).

وقال الشريف الجرجاني:

المراقبة: استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله(٣).

وقال السراج في اللمع: المراقبة: هي مراقبة الخواطر المشغلة للقلب(٤).

والخلاصة:

إن المراقبة علم ويقين بمراقبة الله له، وهذا يتطلب معرفة بالله بأسمائه وصفاته، فمن لم يتحقق بالأسماء والصفات لا يتحقق بالمراقبة، وأن الله سبحانه قريب منه مطلع على ظاهره وباطنه وهو الرقيب(٥).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾(٦).

---

(١) أبواب التصوف (٢٥٧).

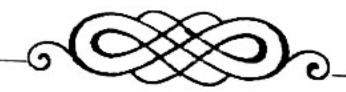
(٢) رسالة المسترشدين (٩٥).

(٣) القصد (٣١٣).

(٤) التعريفات (١١٧).

(٥) أبواب التصوف (٢٥٨).

(٦) [سورة النساء، الآية: ١].



وأول مراحل المراقبة في اصطلاح التصوف هي: الجلوس في محبة الله تعالى، فالسالك يجلس مراقبًا منعزلًا عن الدنيا راغبًا عنها متوضئًا مستقبل القبلة مغمضًا عينيه ناكسًا رأسه، ويفكر قليلًا أن لا أرض ولا سماء ولا إنسان ولا حيوان ولا شيطان ولا شيء موجود، ويفكر: أن تأتيني رحمة من الله وتشغل قلبي فيزول بها ظلام قلبي وظُلمته ويقول قلبي: الله الله الله[1].

• المرشد:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[2].

فدل على أن قضية المعلم الهادي والدليل المرشد ضرورة لزومية طبعًا وشرعًا.

وفي قضية جبريل وسيدنا محمد ﷺ معنى اتخاذ المرشد الهادي والدليل المعلم، وإلا فربما يكفي النور الإلهي المنقدح في القلب المحمدي عن مصاحبة جبريل والأخذ عنه.

وقد طلب سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام الشيخ المرشد الهادي الدليل، وسعى إليه حتى وجده في العبد الصالح وتتلمذ عليه ولم يكتف بأنه كليم الله.

وهل يمكن لأي إنسان أن يقرأ القرآن قراءة صحيحة بغير موفق خبير؟!

وكذلك شأن جميع الصناعات والفنون.

---

(١) التصوف والسالك (١٢٠- ١٢١).
(٢) [سورة الرعد، الآية: ٧].

إن اتخاذ الشيخ مما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب طبعًا وشرعًا.

قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[٦].

وقد أمر الله عز وجل المسلمين أن يعيشوا مع الصادقين، قال الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[٧].

ولذا نجد أن وجود المربي في العملية التربوية الروحية، والسلوك الإيماني والتزكية النفسية حتم مطلوب شرعًا وعقلًا وعملًا.

والمرشد الشيخ العارف بالله تعالى يختصر لك طريق السلوك فيعطيك خلاصة ما وصل إليه ويعينك على كشف خفايا نفسك وأمراضها لتتخلص

---

(١) [سورة الأنبياء، الآية: ٧].
(٢) [سورة فاطر، الآية: ١٤].
(٣) [سورة الأنعام، الآية: ٩٠].
(٤) [سورة لقمان، الآية: ١٥].
(٥) [سورة الفرقان، الآية: ٥٩].
(٦) [سورة الكهف، الآية: ١٧].
(٧) [سورة التوبة، الآية: ١١٩].

منها، ولا ريب في أنك بصحبة الشيخ تأخذ منه حالًا ترتقي به، قال ابن عطاء الله السكندري: لا تصاحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله.

وإن الارتباط الروحي بين الشيخ والمريد يولد الطاقة التربوية للعروج بالمريد السالك في مقامات وأحوال السلوك الروحي الرفيع.

شروط المرشد وصفاته:

أن يكون عالمًا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وينبغي أن يكون موصوفًا بصفات أهل الكمال، ويكون معرضًا عن حب الجاه والدنيا وما أشبه ذلك، ويكون قد أخذ الطريق عن شيخ محقق تسلسلت متابعته إلى رسول الله ﷺ وارتاض بأمره رياضة بالغة من قلة الطعام والشراب والكلام والنوم وقلة الاختلاط مع الأنام وكثرة الصلاة والصيام والصدقة ونحو ذلك وبالجملة يكون متخلقًا بأخلاق النبي ﷺ.

ولا يصلح للتربية والمشيخة المجذوب، فإنه وإن ذاق المقصود لكنه لم يذق الطريق إلى الله، وكذا لا يصلح للمشيخة السالك فقط.

وكان أبو القاسم القشيري رحمه الله يقول:

قد درج أشياخ الطريق كلهم على أن أحدًا منهم لم يتصدر للطريق إلا بعد تبحره في علوم الشريعة، ولم يكن أحد في عصر من العصور إلا وعلماء ذلك الزمان يتواضعون له ويعملون بإشارته[1].

---

(١) الأنوار القدسية (٦٣).

وقال الإمام أبو العباس المرسي رحمه الله تعالى:

من كان فيه خمس خصال لا تصح مشيخته:

الجهل بالدين.

إسقاط حرمة المسلمين.

الدخول فيما لا يعني.

اتباع الهوى في كل شيء.

سوء الخلق من غير مبالاة.

وذكر شيخنا السيد محمد أبو الهدى الصيادي رحمه الله تعالى في كتابه (العقد النضيد في آداب الشيخ والمريد) فقال:

ينبغي أن يتصف الشيخ المسلك باثنتي عشرة صفة:

صفتان من حضرة الله عز وجل وهما: الحلم والستر.

وصفتان من حضرة النبي ﷺ وهما: الرأفة والرحمة.

وصفتان من حضرة الصديق الأكبر رضي الله عنه وهما: الصدق والتصديق.

وصفتان من حضرة الفاروق الأعظم رضي الله عنه وهما: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وصفتان من حضرة عثمان ذي النورين رضي الله عنه وهما: الحياء والتسليم.

وصفتان من حضرة علي الكرار رضي الله عنه وهما: الزهد الأتم والشجاعة.

ومتى اتصف الشيخ بهذه الأوصاف وتمكنت قدمه وزكت شيمه صح أن يكون قدوة في الطريق.

وقال الشيخ عبد العزيز الدباغ قدس الله سره:

ولشيخ التربية علامات ظاهرة وهي:

أن يكون سليم الصدر على الناس.

وأن يكون كريمًا إذا طلبته.

وأن يحب من أساء إليه.

وأن يغفل عن خطايا المريدين.

وأن يكون خاليًا من الأهواء.

وأن يكون ذا بصيرة.

وأن لا يكون مغترًا[١].

وللمرشد شروط لا بد منها حتى يتأهل لإرشاد الناس وهي أربعة:

أن يكون عالمًا بالفرائض العينية.

أن يكون عارفًا بالله تعالى.

أن يكون خبيرًا بطرائق تزكية النفوس ووسائل تربيتها.

أن يكون مأذونًا من شيخه.

---

(١) الإبريز (١١٩- ١٢١).

وإذا لم تجد شيخًا بهذه الشروط فعليك بالإكثار من الصلاة والسلام على سيدنا محمد فهي نعم المرشد[١].

• المريد:

هو من أراد الوصول إلى القرب من الله عز وجل.

وهو المراد حقيقة، أراده الله سبحانه وتعالى أن يكون من الفالحين فكان.

مصداق قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾[٤].

فإرادته لهم سبب إرادتهم له، فمن أراده الحق سبحانه فمحال أن لا يريده العبد.

قال سيدنا حارثة رضي الله عنه: عزفت نفسي عن الدنيا، فأظمأت نهاري وأسهرت ليلي، كأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا.

وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقبل يريد قتل رسول الله ﷺ فأسره الحق وأصبح من المؤمنين الصادقين[٥].

---

(١) للتوسع: انظر: الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية، باب: المرشد.

(٢) [سورة المائدة، الآية: ٥٤].

(٣) [سورة المائدة، الآية: ١١٩].

(٤) [سورة التوبة، الآية: ١١٨].

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف (١٣٨).

وكسحرة فرعون: لما كوشفوا بالحال الذي هم فيه، سهل عليهم تحمل ما توعدهم به فرعون من القتل والصلب والتعذيب، فقالوا: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾[1].

- **المسامرة**: هي محادثة الحق للعبد في سرّه، لأنها في العرف هي المحادثة ليلًا.

المسامرة: هي خطاب الحق للعارفين من عالم الأسرار والغيوب، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[2].

- **المستهلك**: هو الفاني في الذات الأحدية بحيث لا يبقى منه رسم.
- **مشارق الفتح**: هي التجليات الأسمائية، لأنها مفاتيح أسرار الغيب، وتجلي الذات.
- **مشارق شمس الحقيقة**: تجليات الذات قبل الفناء التام في عين أحدية الجمع.
- **المشاهدة**: لغة: من شَهِدَ ـ الشهادة: حضور وعلم وإعلام.

وشهد بمعنى بيَّنَ، والشهادة: بيان الحق، وفصل الحق عن الباطل.

وقيل: إقرار مع العلم وثبات اليقين.

والمشاهدة: اصطلاحًا: وجود الحق مع فقدانك، يعني بها حضورك مع الحق مع فنائك[3].

---

(١) [سورة طه، الآية: ٧٢].

(٢) [سورة الشعراء، الآيات: ١٩٣- ١٩٤].

(٣) معجم مقاييس اللغة (٥١٧).

والمشاهدة: هي حضور الحق من غير بقاء تهمة (شبهة).

قال عمرو بن عثمان المكي: المشاهدة: أن تتوالى أنوار التجلي على قلبه من غير أن يتخللها انقطاع كما لو قدر اتصال البروق[١].

والمشاهدة على ثلاثة مقامات:

مشاهدة بالحق وهي: رؤية الأشياء بدلائل التوحيد.

ومشاهدة للحق وهي: رؤية الحق في الأشياء.

ومشاهدة الحق وهي: رؤية الحق قبل الأشياء[٢].

وقيل: المشاهدة: هي إدراك الغيوب بأنوار الأسرار، عند صفاء القلوب من الأدناس والأقذار.

وقيل: المشاهدة: هي أن يشهد الله بإيمانه كأنه يراه، ورؤية من سواه بعين العدم[٣].

- **المطالعة**: توفيقات الحق للعارفين ابتداء عن سؤال منهم فيما يرجع إلى حوادث الكون.

- **المعرفة**: هي من السكون والطمأنينة، لأن من أنكر شيئًا توحش منه ونبا عنه، وسمي المعروف لأن النفوس تسكن إليه[٤].

---

(١) الرسالة القشيرية (١٥٨).

(٢) أبواب التصوف (٢٤٩).

(٣) قطب العارفين (١٣٦).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٧٣٢).

واصطلاحًا: هي نور ومكاشفة باطنية بقلبك على الحقيقة فلا تحتاج معها إلى وصف للأشياء، لذلك قيل: المعرفة هجوم الأنوار على الأسرار[١].

سئل ذو النون المصري: بِمَ عرفت ربك؟ قال: عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي.

فهي معرفة من الله وبواسطته، لأنها من الفطرة، والله فاطر الخلق.

وقال ابن عطاء الله السكندري: العارف لا دنيا له لأن دنياه لآخرته وآخرته لربه[٢].

وأما المعرفة والفناء فهما متلازمان متى تحقق الفناء تحقق صاحبها في المعرفة، وصار من أهل المعرفة[٣].

وقال الشبلي: لا حال للعارف لأنه مُحيت رسومه وفُنيت هويته، وغيبت آثاره بآثار غيره[٤].

- **المفتاح الأول**: هو اندراج الأشياء كلها على ما هي عليها في غيب الغيوب الذي هو أحدية الذات.
- **مفرج الأحزان ومفرج الكروب**: هو الإيمان بالقدر.

---

(١) منثور الخطاب (٦٧).
(٢) لطائف المنن (٢٠٩).
(٣) أبواب التصوف (٢٨٦).
(٤) الرسالة القشيرية (٤٧١).

• المقام:

ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب، وبما اكتسبه مما يتوصل إليه بنوع من تصرف، ومقاساة تكلف.

والمقامات: مكاسب، أما الأحوال فهي مواهب.

ومن شروطه: أن لا يرتقي من مقام إلى مقام آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام، فمن لم يستوف أحكام التوبة، لا يصح له أن يرتقي إلى مقام الإنابة، ومن لم يستوف مقام الورع، لا يصح له الارتقاء إلى مقام الزهد، ومن لا قناعة له، لا يصح له أن يرتقي إلى مقام التوكل، ومن لا توكل له لا يصح له التسليم.

ومن المقامات: التوبة، التقوى، الورع، الزهد، المراقبة، الصبر، الإخلاص، الاستقامة[(١)(٢)].

والمقام هو الإقامة كالمدخل بمعنى الإدخال، والمخرج بمعنى الإخراج، ولا يصح لأحد منازلة مقام إلا بشهود (أي عند اكتسابه) إقامة الله تعالى إياه بذلك المقام ليصح بناء أمره على قاعدة صحيحة[(٣)].

• المكاشفة:

هي أعلى في العلم من المشاهدة، وتحصل فيها ـ أي المكاشفة ـ معانٍ ورفع حجب.

---

(١) نظرات في التصوف الإسلامي (١٠٥).
(٢) للتوسع انظر: (صفوة المقامات الصوفية) ليوسف خطار محمد.
(٣) الرسالة القشيرية (١٣٢).

والمكاشفة: حضور القلب بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمل الدليل.

والمكاشفة هي أتم من المشاهدة[1].

وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته، يدنيه علمه[2].

والمكاشفة على ثلاثة مقامات:

مكاشفة بالعلم وهي: تحقيق الإصابة بالفهم.

ومكاشفة بالحال وهي: تحقيق رؤية زيادة الحال.

ومكاشفة بالوجد وهي: تحقيق صحة الإشارة[3].

- **المكانة**: هي المنزلة التي هي أرفع المنازل عند الله تعالى، وقد يطلق عليها المكان وهو المشار إليه بقوله: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[4].
- **المكر**: هو إرداف النعم مع المخالفة وإبقاء الحال مع سوء الأدب.

المكر: أداء النعم مع المخالفة، وإبقاء الحال مع سوء الأدب، وإظهار الآيات والكرامات من غير أمد ولا حد.

- **المناصفة**: حسن المعاملة مع الحق والخَلْق.
- **المنصة**: هي تجليات روحانية.

---

(١) عبارات الصوفية (٥٤).

(٢) الرسالة القشيرية (١٥٨).

(٣) أبواب التصوف (٢٦٧).

(٤) [سورة القمر، الآية: ٥٥].

• **الموت**: هو قمع هوى النفس. قال تعالى ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[1] يعني: ميتًا بالجهل فأحييناه بالعلم وهذا الموت موت لجميع أنواع الموتات.

• **الموت الأبيض**: الجوع، سمي الأبيض: لأنه ينوّر الباطن ويبيّض وجه القلب.

قيل: من ماتت بطنته حييت فطنته.

• **الموت الأخضر**: لبس المرقع من الخرق الملقاة التي لا قيمة لها، فإذا قنع من اللباس الجميل بذلك، واقتصر على ما يستر العورة ويصح فيه الصلاة فقد مات الموت الأخضر، لاخضرار عيشه بالقناعة.

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل

• **الموت الأسود**: هو احتمال أذى الخلق، لأنه إذا لم يجد في نفسه حرجًا من أذاهم ولم تتألم نفسه بل يتلذذ به لكونه يراه من محبوبه فقد مات الموت الأسود، وهو الفناء في الله لشهوده الأذى منه برؤية فناء الأفعال في فعل محبوبه.

• **الميزان**:

ما به يتوصل الإنسان إلى معرفة الآراء الصائبة والأقوال السديدة والأفعال الجميلة، وتميزها من أضداها.

وهو العدالة التي هي ظل الوحدة الحقيقية، لأنها لم يتحقق بها صاحبها إلا عند تحققه بمقام أحدية الجمع والفرق، فإن ميزان أهل الظاهر هو الشرع،

(١) [سورة الأنعام، الآية: ١٢٢].

وميزان أهل الباطن هو العقل المنور بنور القدس، وميزان الخصوص هو علم الطريقة، وميزان خاصة الخاصة: وهو العدل الإلهي الذي لا يتحقق به إلا الإنسان الكامل.

- **النفس**: هي لطيفة مودعة في هذا القالب وهي محل الأخلاق المذمومة.

- **النفس الأمارة**: هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية، وتأمر باللذات والشهوات الحسية، وتجذب القلب إلى الجهة السفليّة، فهي مأوى الشرّ، ومنبع الأخلاق الذميمة والأفعال السيّئة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾(١).

- **النفس اللوامة**: هي التي تنورت بنور القلب تنورًا أبعدها عن الغفلة فتيقّظت، وبدأت بإصلاح حالها مترددة بين جهتي الربوبية والخَلْقية، فكلما صدرت منها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية وسجيّتها تداركها نور التنبيه الإلهي، فأخذت تلوم نفسها وتتوب عنها مستغفرة راجعة إلى باب الغفار الرحيم.

قال تعالى ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾(٢).

- **النفس المطمئنة**: هي التي تمَّ تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالأخلاق الحميدة، وتوجهت إلى جهة القلب بالكلية مشابهة له في الترقي إلى جناب عالم القدس، متنزهة عن جانب الرجس مواظبة على

---

(١) [سورة يوسف، الآية: ٥٣].

(٢) [سورة القيامة، الآية: ٢].

الطاعات مساكنة إلى حضرة رفيع الدرجات حتى خاطبها ربها بقوله ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾(١).

- النور: كل وارد إلهي يطرد الكون عن القلب.

- النون: علم الإجمال.

- الهجوم: ما يرد على القلب بقوة الوقت بغير تصنع منه.

- الهمة: تطلق بإزاء تجريد القلب للمنى، وتطلق بإزاء أول صدق المريد، وتطلق بإزاء جمع الهمم بصفاء الإلهام.

- همة أرباب الهمم العالية: هي التي لا تتعلق إلا بالحق، ولا تلتفت إلى غيره فهي أعلى الهمم حيث لا ترضى بالأحوال والمقامات ولا بالوقوف مع الأسماء والصفات ولا تقصد إلا عين الذات.

- الهواجس: الخواطر النفسية

مراتب القصد خمس هاجس ذكر فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه همّ فعزم كلها رفعت سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

- الهوى: هو ميل النفس إلى مقتضيات الطبع والإعراض عن الجهة العلوية بالتوجه إلى الجهة السفلية.

- الهوية: الحقيقة في عالم الغيب.

---

(١) [سورة الفجر، الآيات: ٢٧- ٣٠].

• الهيبة:

هي أعلى من القبض، وحق الهيبة الغَيبة، فكل هائب غائب، ثم الهائبون يتفاوتون في الهيبة على حسب تباينهم في الغيبة[١].

فمنهم من تطول غيبته ومنهم من تقتصر على حسب هيبته.

وأهل الحقيقة يعدون حال الهيبة والأنس نقصًا، لأنهما يتضمنان تغير أحوال العبد.

وأهل التمكين سمت أحوالهم عن التغيير، وهم محو في وجود العين، أي لا يرون فاعلًا إلا الله، وعندهم تسليم مطلق.

فلا هيبة ولا أنس ولا علم ولا حس يعني على الحقيقة، فوجودهم بإمداد الله لهم.

ويرتقي العبد عن حالة الهيبة والأنس بالوجود.

• الوارد:

هو كل ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمد من العبد[٢].

وقيل: هو ما يرد على القلب من الخواطر، والوارد من الحق وهو أعم من الخواطر[٣].

---

(١) الرسالة القشيرية (١٣٦ - ١٣٧).

(٢) التعريفات (٢٤٤).

(٣) تقسيم الخواطر (١٨).

والوارد له ثلاثة مقامات:

وارد بالإشارة وهي حظ السر.

ووارد بالخطر وهو حظ القلب.

ووارد باللحظة وهي حظ المشاهدة[1].

- **الواقعة**: ما يرد على القلب من ذلك العالم بأي طريق كان، من خطاب أو مثال.

- **الوجد والتواجد والوجود والوجدانيات**:

الوجد: هو ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع.

وقيل: هو بروق تلمع ثم تخمد سريعًا.

التواجد: هو استدعاء الوجد، وإظهار حالة الوجد من غير وجد.

الوجود: هو فقدان العبد بمحق أوصاف البشرية ووجود الحق، لأنه لا بقاء للبشرية عند ظهور سلطان الحق.

وقيل: وجدان الحق في الوجد.

وهذا معنى قول أبي الحسين النوري:

أنا منذ عشرين سنة بين الوجد والفقد، إذا وجدت ربي فقدت قلبي.

---

(١) أبواب التصوف (٣٠٦).

وهذا معنى قول الجنيد:

علم التوحيد مباين لوجوده، ووجود التوحيد مباين لعلمه، فالتواجد بداية والوجود نهاية، والوجد واسطة بينهما[١].

الوجدانيات: ما يكون مدركه بالحواس الباطنة.

وحقيقة الوجد نار تتوقد في الأسرار تنحرف به الأغيار.

فالوجد على ثلاثة أقسام: وجد العام، ووجد الخاص، ووجد أخص الخاص.

الوجد العام: هو اغتباط الروح من استلذاذ الذكر.

الوجد الخاص: عجز الروح عن احتمال غلبة الشوق عند وجود حلاوة الذكر.

وجد أخص الخاص: عجز ضوء الروح عند مطالع الحق عن السر.

• **وجه الحق**: هو ما به الشيء حقًّا، إذ لا حقيقة لشيء إلا به تعالى، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

فهو عين الحق المقيم لجميع الأشياء فمن رأى قيومية الحق للأشياء فهو الذي يرى وجه الحق في كل شيء.

• **وجها العناية**: هما الجذبة والسلوك اللذان هما جهتا الهداية.

• **الوجود**: وجدان الحق ذاته، ولهذا تسمى حضرة الجمع حضرة الوجود.

---

(١) التعريفات (٣٤٤- ٣٤٥)، وكشاف المصطلحات (١٤٥).

• وحدة الوجود:

إن وجود الله ذاتي، أي لا تأثير لغيره به، إذ أن الله تعالى هو الأول فليس قبله شيء. قال ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء غيره»[١].

أما وجود الموجودات فهو حاصل من إيجاد الله عز وجل لها، ومستمر بإمداد الله تعالى لها بالوجود، ولو انقطع الإمداد لعادت عدمًا.

وعليه فمن نظر إلى الموجد الممد سبحانه وتعالى رآه هو الموجود حقيقة، ومن لاحظ الإمداد رأى الأشياء عدمًا لولاه سبحانه، فوجودها ليس ذاتيًا، كوجود الله عز وجل، لذلك قالوا: الوجود الحقيقي واحد وهو الله سبحانه وتعالى، ووجود غيره لا يشابه وجوده.

قال ﷺ: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل»[٢].

وقال أحدهم:

فالكـــل دون الله إن حققتــــه   عدم على التفصيل والإجمال

أي عدم في حقيقة أصله، موجود بمدد الله تعالى له، وهذه هي وحدة الوجود.

قال الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله تعالى:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٠١٩).
(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣٦٢٨).

إن الوجود نوعان: وجود قديم أزلي وهو واجب وهو الحق سبحانه وتعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾(١) أي الثابت الوجود المحقق، ووجود جائز عرضي ممكن، وهو وجود ما عداه من المحدثات.

وإن القول بوحدة الوجود، وأن الوجود واحد هو الحق تعالى يحتمل معنيين:

أحدهما حق، والثاني كفر، ولهذا فالقائلون بوحدة الوجود فريقان:

الفريق الأول: أرادوا بها اتحاد الحق بالخلق، وأنه لا شيء في هذا الوجود سوى الحق، وأن الكل هو وأنه هو الكل، وأنه عين الأشياء، وفي كل شيء له آية تدل على أنه عينه...

فقوله هذا كفر وزندقة وأشد ضلالة من أباطيل اليهود والنصارى وعبدة الأوثان وقد شدد الصوفية النكير على قائله، وأفتوا بكفره، وحذروا الناس من مجالسته.

الفريق الثاني: قالوا ببطلان وكفر ما ذكر من أن الخالق عين المخلوق، وإنما أرادوا بوحدة الوجود القديم الأزلي وهو الحق سبحانه فهو لا شك واحد منزه عن التعدد، ولم يقصدوا بكلامهم الوجود العرضي المتعدد وهو الكون الحادث نظرًا لأن وجوده مجازي، وفي أصله عدمي لا يضر ولا ينفع فالكون معدوم في نفسه، هالك فان في كل لحظة، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾(٢).

---

(١) [سورة الحج، الآية: ٦٢].
(٢) [سورة القصص، الآية: ٨٨].

وإنما يظهره الإيجاد ويثبته الإمداد، والكائنات ثابتة بإثباته، وممحوة بأحدية ذاته، وإنما يمسكه سر القيومية فيه.

وهؤلاء قسمان:

قسم أخذ هذا الفهم بالاعتقاد والبرهان والذوق والعيان، وغلب عليه الشهود فاستغرق في لجج بحار التوحيد ففني عن نفسه فضلًا عن شهود غيره، مع استقامته على شرع الله تعالى وهذا قوله حق.

وقسم ظن أن ذلك علم لفظي، فتوغل في تلاوة عبارته، وتمسك بظواهر إشاراته، وغاب في شهودها عن شهود الحق، فربما هانت الشريعة في عينيه لما يلتذ به من حلاوة تلك الألفاظ، فيقع على أم رأسه، ويتكلم بما ظاهره أن الشريعة في جهته يختص بها أهل الغفلة، والحقيقة في جهة أخرى يختص بها أهل العرفان، ولعمري إن هذا لهو عين الزور والبهتان، وما ثمَّ إلا شريعة ومقام إحسان[1].

• الورد:

الورد بالكسر، كما في المصباح: الوظيفة من قراءة ونحو ذلك، والجمع أوراد يطلقه الصوفي على أذكار.

يأمر الشيخ تلميذه بذكرها صباحًا بعد صلاة الصبح، ومساءً بعد صلاة المغرب، والوارد في اللغة: هو الطارق القادم.

يقال: ورد علينا فلان أي قدم، وفي الاصطلاح: ما يتحفه الحق تعالى في

(١) حقائق عن التصوف (٥٥٣- ٥٥٦).

قلوب أوليائه من النفحات الإلهية فيكسبه قوة محركة وربما يدهشه أو يغيبه عن حسه ولا يكون إلا بغتة ولا يدوم على صاحبه.

ومن الأوراد:

كلمة التوحيد بصيغة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

ولهذا دعانا الله عز وجل إلى هذا التوحيد الخالص فقال: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[١].

وكذلك رغبنا رسول الله ﷺ في الإكثار من ترداد كلمة التوحيد وبين أفضليتها ومثوبتها فقال: أفضل الذكر لا إله إلا الله[٢].

والاستغفار: قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[٣].

وقد كان رسول الله ﷺ يكثر من الاستغفار تعليمًا لأمته وتوجيهًا.

قال ﷺ: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[٤].

والصلاة على النبي بأي صيغة كانت جائزة وأفضلها الصلاة الإبراهيمية

---

(١) [سورة محمد، الآية: ١٩].

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣) والحاكم (١/ ٥٠٣) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) [سورة نوح، الآيات: ١٠- ١١- ١٢].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٩٤٨).

وكذلك ثبتت بهذه الصيغة: «اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم»[١].

نصلي على رسول الله ﷺ مع استحضار عظمته ﷺ وتذكر صفاته وشمائله والتعلق بجنابه الرفيع محبة وتشوقًا، ولا مانع أن نصلي عليه بأي صيغة كانت.

وقد أمرنا الله تعالى بذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[٢].

وكذلك رغب رسول الله ﷺ بكثرة الصلاة والسلام عليه فقال: «من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشرًا»[٣].

وقال ﷺ أيضًا: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة»[٤].

ذكر الله عز وجل:

ورد في الذكر بالاسم المفرد (الله) آيات كثيرة منها:

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾[٥].

وقوله لسيدنا محمد ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾[٦].

---

(١) رواه أبو داود (٩٨١).
(٢) [سورة الأحزاب، الآية: ٥٦].
(٣) أخرجه النسائي في سننه (١٢٩٦).
(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٩١١).
(٥) [سورة المزمل، الآية: ٨].
(٦) [سورة الأنعام، الآية: ٩١].

وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[١].

وقال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله، الله»[٢].

فها هو اسم الله المفرد يرد ذكره مكررًا في هذا الحديث.

ومن الأدلة التي يستأنس بها: سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه كان يعذبه أمية بن خلف أشد العذاب تحت حر شمس مكة: وهو يقول: أحد أحد.

وسيدنا محمد ﷺ يسمع قوله ولا ينكر عليه وسكوته ﷺ إقرار.

ومما يعترض على الذكر باسم الله المفرد أنه لا يؤلف جملة مفيدة تامة يحسن السكوت عليها كقولنا: الله غفور. والجواب:

أن الذاكر باسم الله المفرد إنما يخاطب الله وحده وهو جل جلاله عالم بما في نفسه مطلع على سريرته فلا يشترط في الخطاب معه ما يشترط في الخطاب مع البشر من جعل الكلام تامًا مفيدًا يحسن السكوت عليه.

وقوله (الله، الله) إنما هو نداء بحذف أداة النداء وأصله:

(يا الله، يا الله) كقوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾[٣].

وأصله يا يوسف ثم إن المنادى عند النحويين مفعول به لفعل محذوف وأصل الكلام (أدعو اللهَ) وقد يكون المبتدأ الله، والخبر الله أو أي اسم من

---

(١) [سورة الإنسان، الآية: ٢٥].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٧٤).

(٣) [سورة يوسف، الآية: ٢٩].

أسماء الله عز وجل، ويكون هناك في القلب (العفو، الرحيم...) وذلك كما أراد أحدهم أن يشبه شجاعة زيد بشيء آخر فلم يستطع فقال: زيدٌ زيدٌ.

وكذلك من حاول تشبيه الإمام شعبة بشخصية عظيمة تقربه لذهن المخاطب فلم يجد إلا أن يقول: شعبةُ شعبةٌ.

وقال العلامة الخادمي رحمه الله تعالى:

واعلم أن اسم الجلالة (الله) هو الاسم الأعظم عند أبي حنيفة والكسائي والشعبي وإسماعيل بن إسحاق وأبي حفص وسائر جمهور العلماء، وهو اعتقاد جماهير مشايخ الصوفية ومحققي العارفين فإنه لا ذكر عندهم لصاحب مقام فوق مقام الذكر باسم (الله) مجردًا، قال الله لنبيه ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾[1].

وقال ابن عابدين في حاشيته المشهورة عند شرح البسملة وبحثه عن اسم (الله):

روى هشام عن محمد عن أبي حنيفة أنه (أي الله) اسم الله الأعظم وبه قال الطحاوي: وكثير من العلماء وأكثر العارفين حتى أنه لا ذكر عندهم لصاحب مقام فوق الذكر به كما في شرح التحرير لابن أمير حاج[2].

وقال الإمام ابن عجيبة رضي الله عنه:

«فالاسم المفرد (الله) هو سلطان الأسماء، وهو اسم الله الأعظم، ولا يزال

---

(١) [سورة الأنعام، الآية: ٩١].

(٢) حاشية ابن عابدين (١/ ٥- ٧).

المريد يذكره بلسانه ويهتز به حتى يمتزج بلحمه ودمه، وتسري أنواره في كلياته وجزئياته...»[١].

وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه:

ليكن ذكرك (الله، الله) فإن هذا الاسم سلطان الأسماء، وله بساط وثمرة، فبساطه العلم وثمرته النور وليس النور مقصودًا لذاته، بل لما يقع به من الكشف والعيان، فينبغي الإكثار من ذكره واختياره على سائر الأذكار لتضمنه جميع ما في (لا إله إلا الله) من العقائد والعلوم والآداب والحقائق[٢].

وقال العلامة علي القاري في شرحه لحديث «لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله، الله»[٣]:

أي لا يُذْكَرُ الله فلا يبقى حكمة في بقاء الناس، ومن هنا يعرف أن بقاء العالم ببركة العلماء العاملين، والعباد الصالحين، وعموم المؤمنين[٤].

ولا ينبغي للسالك في طريق أهل الله أن يكون ورده مقصورًا على العدد المذكور بل ينبغي له أن يزيد ذكره لله تعالى، لأن قلب السالك في ابتداء سيره كالطفل الصغير، فكما أن الطفل كلما كبر زيدت له كمية الغذاء، كذلك كلما كبر المريد في سيره إلى الله تعالى زاد ذكره لله، لأن الذكر غذاء لقلبه وحياة له،

---

(١) تجريد ابن عجيبة على شرح متن الأجرومية (١٥).

(٢) نور التحقيق (١٧٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٧٤).

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/ ٢٢٦).

مع مراعاة استشارة شيخه، حتى يبقى دائمًا في حالة اطمئنان وسكينة وثبات.

والورد كله بأمر من الله عز وجل وبأمر من سيدنا محمد ﷺ من الاستغفار، ومن الصلاة على سيدنا محمد ﷺ، ومن قول لا إله إلا الله، فليس لأحد أن ينكره أو يتركه، فمن أنكر فلجهله، ومن حرم الأوراد في بدايته حرم الواردات في نهايته، فعليك بالأوراد ولو بلغت المراد[١].

• **الوفاء بالعهد**: هو الإقرار بالربوبية بقول: بلى، حيث قال الله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[٢].

وهو للعامة: العبادة رغبة في الوعد، ورهبة من الوعيد.

وللخاصة: العبودية على الوقوف مع الأمر لنفس الأمر وقوفًا عند ما حدَّ، ووفاء بما أخذ على العبد لا رغبة ولا رهبة ولا غرضًا.

ولخاصة الخاصة: العبودية على التبرّؤ من الحول والقوة.

وللمحب: صون قلبه عن الاتساع لغير المحبوب.

ومن لوازم الوفاء بعهد العبودية أن ترى كل نقص يبدو منك راجعًا إليك ولا ترى كمالًا لغير ربك.

• **الوفاء بحفظ عهد التصرف**: أن لا تذهل عن عبوديتك وعجزك في أوقات منحك التصرفات وخرق العادات.

---

(١) للتوسع، انظر: الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية (باب الورد).

(٢) [سورة الأعراف، الآية: ١٧٢].

• الوقت:

حقيقة الوقت عند أهل التحقيق:

حادث متوهم علق حصوله على حادث متحقق فالحادث المتحقق وقت للحادث المتوهم.

تقول: آتيك رأس الشهر، فالإتيان متوهم، ورأس الشهر حادث متحقق، فرأس الشهر وقت الإتيان.

ويقولون: الصوفي ابن وقته.

يريدون بذلك: أنه مشتغل بما هو أولى من العبادات في الحال، قائم بما هو مطلوب به في الحين.

وقيل: الاشتغال بفوات وقت ماضٍ، تضييع وقت ثانٍ.

وقيل: الوقت سيف، كما أن السيف قاطع فالوقت بما يمضيه الحق ويجريه غالب.

والوقت: من استسلم لحكمه نجا، ومن عارضه انتكس وتردَّى.

صاحب الوقت: هو من استسلم لما يقضيه وقته.

صاحب المقت: أي من عارض وقته بترك الرضا[1].

---

(١) انظر: الرسالة القشيرية (١٣٠- ١٣١)، لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (٤٧٠- ٤٧١).

• الوقفة: هي الحبس بين مقامين.

وذلك لعدم استيفاء حقوق المقام الذي خرج عنه وعدم استحقاق دخوله في المقام الأعلى، وكأنه في التجارب بينهما.

• الوقوف الصادق: هو الوقوف مع مراد الحق.

• الولاية: هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه وذلك بتولي الحق إياه حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكين.

• الوله: إفراط الوجد.

• الولي: من تولى الحق أمره، وحفظه من العصيان ولم يخله ونفسه بالخذلان حتى يبلغه في الكمال مبلغ الرجال. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1].

اليقظة:

الفهم عن الله في زجره[2].

وهي أول منازل السائرين التي يشتمل عليها قسم البدايات الذي هو أول المنازل.

وقال الشيخ محيي الدين بن عربي:

اليقظة هي القومة لله تعالى من سِنَةِ الغفلة، وهي أول منازل السائرين لأن

---

(١) [سورة الأعراف، الآية: ١٩٦].

(٢) التعريفات (٢٦٣).

العبد إذا استيقظ قام وإذا قام سار، فاليقظة هي أول العزم على السير ثم يتلوها القومة إلى المسير لمن أراد ذلك، وبداية اليقظة التفهيم لعلم ما يحتاج العبد إلى معرفته[١]. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾[٢].

• اليَقِينُ:

لغة: العلم الذي لا شك فيه.

واليقين هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع، والعلم المستقر في القلب لثبوته من سبب متعين له بحيث لا يقبل الاتهام[٣].

واصطلاحًا: اليقين: هو العلم الذي لا شك فيه ولا يوصف به الحق سبحانه وتعالى لعدم التوقيف، وقيل: هو اعتقاد الشيء مطابقًا للواقع غير ممكن الزوال.

واليقين: هو الوقوف على الحقائق بالكشف[٤]، وقيل: هو رؤية العيان بنور الإيمان[٥].

واليقين: هو السكون والاطمئنان لما غاب، بناء على ما حصل الإيمان به، وارتفع الريب عنه.

واليقين على ثلاثة مقامات:

---

(١) لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام (٤٧٥).
(٢) [سورة سبأ، الآية: ٤٦].
(٣) معجم مقاييس اللغة (١٠٧١).
(٤) جامع الأصول (٣٢٠).
(٥) لطائف الإعلام (٤٧٦).

علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين:

فعلم اليقين: ما تعلق به الغيبوبة.

وعين اليقين: هو ما تعلق به المشاهدة.

وحق اليقين: هو ما تعلقت به السرية بسر القلب وبقي الوصف[١].

وقال أبو سعيد الخراز: ذاتية اليقين: هي الاطمئنان بالحق المبين مع الاستقامة على الدين[٢].

وعند أهل الحقيقة: اليقين هو رؤية العيان بقوة الإيمان لا بالحجة والبرهان.

وقيل: مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب، وملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار.

وقيل: ارتفاع الريب في مشهد الغيب[٣].

- يوم الجمعة: وقت اللقاء والوصول إلى عين الجمع.

* * *

(١) أبواب التصوف (٢٧٧).
(٢) الحقائق (٤٨).
(٣) التعريفات (٣٦٣- ٣٦٤).

الخاتمة

أسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[١].

وإني أسأله جل وعز، وهو خير مسؤول، أن ينفعني والمسلمين بكتابي هذا وجميع كتبي.

إنه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين.

والحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

لقد كان الفراغ من تأليفه ظهر يوم الخميس / يوم عرفة المبارك/ تاريخ تسع من ذي الحجة سنة ألف وأربع مئة وثمان وثلاثين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التسليم.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه

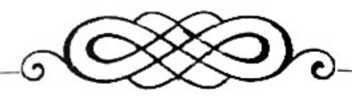
الدكتور يوسف خطار محمد

عضو الهيئة التدريسية في

جامعة السلطان محمد الفاتح الوقفية

---

(١) [سورة الشعراء، الآية: ٨٨- ٨٩].



المصادر والمراجع

- **أبواب التصوف ومقاماته وآفاته**، العارف بالله السيد محمد ابن سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني، شرحه السيد ميعاد شرف الدين الكيلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
- **اصطلاحات الشيخ محيي الدين بن عربي (معجم اصطلاحات الصوفية)**، حققه بسام عبد الوهاب الجابي، دار الإمام مسلم، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- **اصطلاحات الصوفية**، الشيخ عبد الرزاق القاشاني، دار الكتب العلمية =، بيروت، ط ٢، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- **الأدب المفرد، الإمام البخاري**، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- **الأربعون في أصول الدين**، الإمام الغزالي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م.
- **التصوف والسلوك**، أحمد النقشبندي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- **التعرف لمذهب أهل التصوف**، أبو بكر محمد الكلاباذي، دار صادر، بيروت، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- **الحاوي للفتاوى**، الإمام جلال الدين السيوطي، ت محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- **الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال**، جلال الدين السيوطي، ت عبد الرحيم أحمد قمحية، مكتبة حسان، ط١، حلب، ١٩٩٢م.



- **الرد المحكم المتين**، العلامة الشريف عبد الله بن الصديق الغماري الحسني، ط٣، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، الناشر: مكتبة القاهرة.
- **الرسالة القشيرية**، أبو القاسم القشيري، علق عليه الدكتور عبد الحليم محمود، دمشق، مكتبة أبي حنيفة، سنة ٢٠٠٠م.
- **الرؤى والأحلام**، ابن حجر العسقلاني، دار ابن خلدون، بيروت، ط١.
- **الكليات**، أيوب الكفوي أبو البقاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.
- **اللمع**، عبد الله السراج، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- **الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية**، الدكتور يوسف خطار محمد، دار التقوى، سوريا، دمشق، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- **الميزان العادل لتمييز الحق من الباطل**، عبد القادر عيسى دياب، دار التقوى، دمشق، مكتبة دار العلوم، لبنان، ط١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
- **تاريخ دمشق**، ابن عساكر، القسم المطبوع.
- **تقسيم الخواطر**، روزبهان الفسوي، ت أحمد فريد المزيدي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- **تنوير السائل في حل أسرار المسائل**، الدكتور يوسف خطار محمد، دار التقوى، سوريا، دمشق، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- **جامع الأصول في الأولياء**، ضياء الدين الكمسخاوي، ت أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- **حبة المحبة**، محمود بن فضل الله الإسكداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- **رسالة المسترشدين**، الحارث المحاسبي، ت عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١٢، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- **سر الأسرار**، الشيخ عبد القادر الجيلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

القاهرة، دار الحديث، محمد فؤاد عبد الباقي، سنن ابن ماجه.
- سنن الترمذي، ت وشرح أحمد شاكر القاضي، دار الحديث، القاهرة.
- شرح السنة، الإمام الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، ت شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط١، ١٣٩٤هـ، المكتب الإسلامي.
- شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ت خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- صحيح البخاري، ت محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- عوارف المعارف، الشيخ عمر السهروردي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، طبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٥هـ.
- كتاب التعريفات، العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني، ت: الدكتور محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، الشيخ عبد الرزاق القاشاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
- معجم مصطلحات الصوفية، الدكتور عبد المنعم الحنفي، دار المسيرة، بيروت، ١٨٩٠م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م.
- موسوعة التصوف الميسرة، تأليف جماعة من المختصين، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
- نظرات في التصوف الإسلامي، الدكتور محمد رضا بشير القهوجي، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

الفهرس

* * *